إلـــي
مهيـــب ومهنــــد

لمحات مــن سيــرة
النبــي محمـــد ﷺ

بقلـم
ناصـر الديـن

الشيخ الدكتور
عبد الله بن عبد العليم الصبان
أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر

الجـــزء الأول
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

إهــداء

إلى كل من حملوا أرواحهم على أكفهم

فداء لحبيبهم وسيدهم محمد صلى الله عليه وسلم

إلى كل من ثار وغضب

إلى كل من استنكر وشجب

أهدى لهم سيرة الحبيب

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وسيد النبيين،وحبيب رب العالمين سيدنا وحبيبنا، ومصطفانا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

وبـــعـــد

لم يكن من المستغرب مافعلته(**الدنمارك**) وتآزر دول أخرى على شاكلتها (**ألمانيا ــ فرنساــ إيطاليا**)، بل وكل من هو غربى وغير مسلم ، لأنه ليس بجديد منهم وعنهم ، فالكفر كله ملة واحده، وإن ادعى بعضهم أنهم على الحياد ، **فلقد سب واتهم** صلى الله عليه وسلم منذ البدء الأول للرسالة ، وأنبأه يومها الخبير ــ ورقة بن نوفل ــ بأنه سيصل من الحال به ، وبمن يحاربه إلى ترك أحب البلاد إلى الله ، وإليه ، ألا وهى مكة المكرمة، مسقط الرأس ، وبلد الجدود ، إلى بلد أخرى ، حتى أنه استغرب الأمر فقال (**أو مخرجى هم ؟! قال ورقة : لم يأت أحد بمثل ماجئت به إلا عودى**) **وكان من ألوان الأذى عند المشركين:** إتهامه بالجنون ، وبالسحر، وأنه يعلمه بشر، أو أنه كاهن أو شاعر وأنه أبتر ، ثم تحديه بطلباتهم التافهة ، أو طلب مقومات للنبوة ومؤهلات من وجهة نظرهم ليست فيه ، فلما زادهم القرآن غيظا قالوا (**إئت بقرآن غير هذا أوبدله، قل: مايكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ، إن أتبع إلا مايوحى إلىّ ،إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم**) قالوا لاخلاف على القرآن ، الخلاف أن تكون أنت رسولنا، فأنت لاتستحقه ، كان يجب أن ينزل على من هو أعلى منك قدرا ، ومكانا وتمكينا (**وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**) فرد عليهم الحق بقوله (**أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى**

الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون) ٠

ثم أخبر أن الدنيا لاتساوى عنده وعند عباده شيئا، ولولا خشيته على ضعاف النفوس ، قليلى الخبرة والفهم ،من أن تقتلهم وتأكلهم الدنيا فلا يكون لهم حظ فى الآخرة ، لأمتع الكافر فوق ما يتصوره بشر، ليكون قد أخذ حظه وعجل له فى الدنيا فلا يلوم ربه فى الآخرة ، يقول الحق(**ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون٠ ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون ٠ وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) والعجيب** أن السورة التى يذكر فيهاهذا الحوار اسمها سورة الزخرف ، وكم زخرفت الدنيا للمغفلين فصدقوها، ثم كانت العاقبة الخزى والخسران ٠

كذا نبه الله وبين فى القرآن ،الذى نزل على أفضل وأفهم وأفخم ولد عدنان، النبى المصطفى والحبيب المجتبى ، محمد البشارة والخير، والنور والسعادة والسرور، فمن آمن به سعد ، وإن كان أشقى أهل الدنيا فقرا وضيقا، والكافر به أشقى أهل الدنيا والآخرة ، وإن كان ملكا ، وإن كان أميرا ، وإن كان رئيسا، وإن كان وزيرا ، فعاقبته الهوان والخسران إن لم يؤمن بالله ورسوله، وقد صدق الله إذ يقول (**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ٠ وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ٠حتى إذا جاءنا قال: ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين)** ٠٠٠إلخ الآيات٠

أما الوان الإيذاء من أهل الكتاب فتتمثل : بعدم إيمانهم به مع معرفتهم له ، جحودا منهم واستكبارا ، وهم الذين يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، بل حسدوا المسلمين على إيمانهم به، وتمنوا أن لوماتوا كفارا ، أو رجعوا كفارا ، وذلك حسدا منهم لاستباق المسلمين لتلك النعمة الكبرى ، والمنة العظمى يقول الحـــق **(ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق)** ولسوف نذكر ذلك تفصيلا فى **(إثبات نبوته فى التوراة والإنجيل الموجودة بين أيدى اليهود والنصارى اليوم)** وهو ضمن فقرات هذا الجزء المبارك إن شاء الله .

ومع ذلك فلقد بلغ الرسول الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، وتركنا على المحجة البيضاء رغم أنوفهم ، وآمن به أبناءهم ، وأما هم فقد لقوا حتفهم ، وبقيت اللعنة تلحقهم بالليل والنهار، بالعشى والإبكار .

وسار على نهج النبى الصحابة الأبرار، والأئمة الأخيار، وبلغت الدعوة والرسالة ورقعة الأرض الإسلامية مابلغ الليل والنهار ، واسمه صلى الله عليه وسلم مرفوع ذكره عال قدره ، و ينادى به مع اسم ربه مادار الفلك الدوار، وإلى أن تقوم الساعة .

ومع المحاولات المستميتة فى الكيد والنيل من الإسلام، والمسلمين بكل الوسائل والطرق الغير مشروعة ، إلا أن هذا الأمر دائما فى حالة مد وجزر، فإذا ظهرت فى المسلمين قوة خفّت وخفتت أصواتهم ، وإذا ظهر الخوار والضعف كانت الفرصة للنيل والتشفى ، ونحن الآن كمسلمين مُسلِّمين ومستسلمين فى موقف لانحسد عليه ، ممادعاهم أن يتطاولوا على غير المعهود ، على سيد الوجود،

وظنوا أننا سنرضى بها، حيث إننا فى نظرهم أصبحنا فى عداد من لايغضب، وفى كل الأمور نشجب ونهرب ! ولكن المرة ليست ككل مرة ، الدنيا تهون بكل قيمها وما فيها، ولا يستهان بسيدها وهاديها، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ولكن لابد من معرفة السبب لهذا الهوان حتى نعود من جديد ، وتكون قلوبنا حديد ، فى الرد عليهم، والنيل منهم ، إن كرروها أو فكروا فى أن يعيدوها .

نقول : تكمن نقاط الضعف والهوان فى النقاط التالية ــ من وجهة نظرى فلربما كان عند غيرى من النقاط أضعاف ماعندى ــ :

الأولـــى :عدم الاهتمام بغرس التعاليم الإسلامية فى المدارس ، وجعل مادة الدين مهملة ولاتحسب فى درجات الامتحان ، بحجة أنه لن يكون هناك تكافؤ حيث إن من يُدرِّس الدين الإسلامى أو المسيحى ربما تعصب لأبناء دينه ، فزاد فى الدرجات على غير حقيقتها، نصرة لابن دينه ، ويُرد على هذه الفرية التى أضاعت الدين ، وأهميته من صدر التلاميذ **والطلاب على حد سواء بالآتى :**

١- **جعل** تدريس مادة الدين أساسية فى سنوات النقل ، واستثنائها من سنوات الشهادة ، فإن فعلت ذلك ضمنت تعليما وتثقيفا جيدا فى هذه المادة التى هى روح الحياة ، **فمثلا:** سنوات الشهادات الأساسية عندنا فى مصر هى: السنة السادسة فى الابتدائى ، والسنة الثالثة فى الصف الإعدادى ، والسنة الثانية والثالثة فى القسم الثانوى ــ إلا إن عادوا إلى القديم فتصير سنة واحدة ــ فإذا كان مجموع سنوات الدراسة بدأ من الصف الأول الابتدائى إلى السنة الثالثة من المرحلة الثانوية اثنى عشر سنة (١٢ سنة) فإذا أنقصنا منها أربع سنوات (٤سنوات) شهادة بقى لنا ثمان سنوات (٨

سنوات) كاملة نستطيع أن نغرس فيها مانريد ، تحت مبدأ الثواب والعقاب المعمول به فى المواد الأخرى ، ونكون قد حمينا أولادنا وأنفسنا من التزيّد فى سنة الشهادة ، والتى يُقيِّمُ بها التلاميذ والطلاب على حد سواء• هذه واحدة •

٢- أن تكون مادة الدين أساسية ، فى جميع سنوات الدراسة ، إبتدائى إعدادى ثانوى جامعة ، على أن يعتنى بها تصحيحا تحت لجان ثقات ، لايتفلت منهم إعطاء الطالب حقه دون تزيُّدٍ أو نقصان ، مع الملاحظة الدقيقة والرجوع إلى لجان أعلى عند الاختلاف وأدلل على هذه الفقرة **بأمرين :**

الأول : أليست المواد الأخرى مختلط بها التدريس والتصحيح ؟ بمعنى أوضح أن هذه المواد يقوم بتدريسها أساتذة مسلمين ونصارى على حد سواء ، والتصحيح أيضا يتم من الطرفين دون تحيُّزٍ أوتمييز، فلماذا مادة الدين بالخصوص تمنع من هذا ؟

الثانى : فى مصرنا يوجد القاضى المسلم والقاضى النصرانى ، والكل يحكم بالعدل ، وعند الاختلاف هناك جهات أعلى يستأنف فيها المعترض ، ولم يذكر عن مصرى مسلم واحد أنه قال : تحدانى القاضى لأنه نصرانى ، ولم يقل المصرى النصرانى : تحدانى القاضى لأنه مسلم ، فلماذا فى الدراسة تكون هذه العنصرية فى مادة الدين وحدها دون غيرها من المواد •

الثالث: فى أخطر مكان وأخطر جهاز ألا وهو القوات المسلحة ، الدرع الحامى والواقى لأى بلد مسلم أو نصرانى ، ومع ذلك يشترك الجنديان ويشترك

الضابطان فى أمن البلد وحمايتها، دون النظرإلى أن هذا نصرانى أو ذاك مسلم **فلماذا هذه العنصرية والتخوين فى مادة الدين ؟**

والمثل ينطبق على جهاز الشرطة ، وغيره من الأجهزة الخطيرة ، ففى المستشفيات مثلا لايشك المسلم إطلاقا فى تشخيص الطبيب لأنه نصرانى ، وكذا لا يشك النصرانى فى التشخيص لأن الطبيب مسلم ، فلماذا فى مادة الدين ؟ إلا إذا كان الأمر مقصود به الهروب من تعليمه أصلا والتآمر على ضياعه .

نريد مسلما مثقفا ثقافة حقيقيةعن دينه ومتخلقا بها ، وكذلك نصرانيا مثقفا ثقافة حقيقية عن دينه ومتخلقا بأخلاقه ، وعندها لن يكون شقاق أو صدام وسوف يقوم بالرد على الأعداء المسيحى قبل المسلم .

٣- أن تكون درجة الدين أساسية فى سنوات النقل وسنوات الشهادة ويوضع ضابطا أو ميزانا للتقييم فى الشهادة الثانوية على وجه الخصوص متمثلا فى : أن الطالب المتفوق إذا وصل مثلا حد ٩٥ % يأخذ درجة الدين كاملة ، أما إذا كان أقل من ذلك قُيِّم حسب ما هو موجود بالفعل فى درجته .

الثــانــية: إلغاء ثقافة تعظيم الأجنبى وكل ماهو أجنبى فى صدور الصغاروالكبار من المسلمين ، حيث إن الأمة بدأ من إرسال رفاعة الطهطاوى ، وطه حسين إلى أوروبا – خاصة الأخير – بدأت مرحلة التعظيم لكل ماهو أجنبى ، وأصبح أمل الجميع هو الدراسة فى الخارج ، والسفر إلى الخارج ، و التباهى بالمعيشة فى تلك البلاد ، وإن كانت وجهتهم غالبا لمن علا منهم ، غسل الصحون والملاعق ، فضلا عن أعمال أحط من ذلك بكثير ، فإن انفلت منهم أحد وعلا بهدفه ، شرف بلادا غير بلاده ، وأعلى أعلاما غير أعلامه، وإن كنا نتمنى

أن لو كانوا فى بلادنا ، وكان الشرف لنا ولأرضنا ، ولكن لالوم على كثير منهم فنحن السبب ، وإذا عرف السبب بطل العجب! ٠

الثـــالثـــة : إن الكلام عن تلك المجتمعات مع إبراز مافيهم من ثراء وعلو فى الدنيا، مع بيان عدم اكتراثهم بالأخلاق والدين ، يشجع الشباب على عدم الالتزام ، ويجعل فى صدورهم من تمنى الحرام وتشهيه الشيىء الكثير، ولو علم الشباب أن أغلب مافى الغرب من ثروات يرجع لنهبهم لثرواتنا، واستغلالهم لحاجتنا ، وعدم رحمتهم لنا، **ولأنه لاحرام عندهم سهل عليهم بيع الحرام** ، وفعل الحرام ، والمتاجرة بالحرام ، فأغلب تجارتهم السلاح للتدمير ، والجنس والعرى لتخريب وقتل لانتباه فى الأمم الذين يسرقونها، أو يخربونها ، **حتى تحين الفرصة** للانقضاض على فريستهم ، **ولعل ماحدث فى أفغانستان والعراق لخير دليل على** ذلك ويكفى أن تسمى (**القوات : بمتعددة الجنسيات**) ولكنها متحدة الهدف فى إذلالنا، وتحطيم معنوياتنا ، وهتك أعراضنا ، وسرقة ثرواتنا ، ونحن مابين (**الكيف**) وهو منهم و(**وأفلام وقنوات العرى والجنس**) وهو منهم أو (**تقليدهم فى تلك القنوات والمحطات بمحطات عرى ورقص وغناء**) مُحِطَّةٌ للأخلاق والكرامة ، تبين مدى مافى هذه الأمة من إفلاس عقائدى وأخلاقى ومعنوى ، **أمة فاشلة ، ولحقيقة أمرها ومكانها جاهلة ، أمة ضحكت من جهلها الأمم ، أمة غاب عنها الإحساس** ، وتركت أمرها وحالها إلى الوسواس الخناس ، الذى يوسوس فى صدور الناس ، وعقول الناس ، **فى كل الوقات وعلى اختلاف** الأجناس ، **ألا وهى أمريكا؟** ٠

لماذا لانعلم أولادنا أن السعادة ليست فى المال فقط بل إن هناك أمورأخرى لوجودالسعادة، ثم إن الأرزاق قسمها الخلاق عز وجل فلا حيلة فى الرزق والمطلوب هو أن نسبب الأسباب، ونأخذ بها فقط ،وأما الباقى فعليه وحده (**فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه**) وكذلك نعد لهم ماستطعنا من قوة فقط والباقى عليه وحده فقد قال (**وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة**) فإن قلت : كانت العراق مستعدة فلماذا هزمت ؟

نقول لك : المأسوف ــ صدام ــ كان قد ركب رأسه ، فضلا عن تخلى الجميع وتفرقهم ،وقد أمرنا الله أن نكون أمة واحدة (**وأن هذه أمتكم أمة واحدة**) فهل كنا أمة واحدة ؟

والمطلوب مع ذلك أيضا أن نحسن الظن بالله فهل موجود فعلا حسن الظن به ؟ **ثم إليك الآتى** : هل أبعد فرعون ملكه من الغرق والنار ؟ومن كان أقوى موسى أم هو ؟ ومن الذى له الذكر الحسن والثناء الجميل ؟ومن الملعون على مر الدهور ؟ هل منع الثراء قارون من الخسف به ، وبداره الأرض ، وعلى من بقيت اللعنة؟ **ألم تقرأ** معى سورة الهمزة فى: (الذى جمع مالا وعدده • يحسب أن ماله أخلده • كلا لينبذن فى الحطمة ومأدراك مالحطمة نار الله الموقدة •••)**ألم تقرأ** :(ماأغنى عنه ماله وماكسب ، سيصلى نارا ذات لهب •••) ألم تقرأ (أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين سنسمه على الخرطوم) إلى غيرها من الآيات • **ألم تعلم** : أن من السبب فى رجوعنا إلى الوراء ، وتمكن تلك الدول العدوة منا جشع الملوك والأمراء وإسرافهم ، مماجعل الديون تثقل ويأتى من ورائها المحتل فى القديم والحديث على السواء ؟

الهم ثقيل والقول مريركما أنه لم ولن يعجب الكثير (**فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على مأسروفى أنفسهم نادمين**) ٠

الرابـــعـــة : فقد التشجيع ، ومحاولة تدمير الكفاءات ، ومحاربة أصحاب الأفكار الناضجة ،وتحدى المجتهدين ، وكسر شوكتهم بإعلاء كلمة المنافقين ، والمصفقيين ، وترقيتهم ، والتيسر لهم ، وعليهم ،ممايجعل المجتهد فى دوامة لقمة العيش من أجل حياة أبناءه ، ومحاولة استرضاء رؤسائه ــ أعدائه ــ ونداء الحق والإبداع الذى بداخله ٠٠ دوامة تنتهى بالأمراض المزمنة لمن صبر ، أو بالمهدئات والمكيفات لمن ضجر، حتى يصبح بعد ذلك فى حالة ربما فاقت جنون البقر ، والأمر لايخفى على لبيب أو بصير ؛ فضلا عن أمثالنا الشعبية (عش جبان تبات مستور) (امش جار الحيط واسمع الزيط) أنا مبدئى (لاأسمع لاأرى لاأتكلم)٠

الخـــــامســـة: المجاملة فى الحق : حيث يكون الأمر يسيرلهذا أو ذاك المسؤل الكبير ، ويكون جد خطير عندما يكون الشخص بسيط أو صغير **والحق** : أن لامجاملة فى الحق (**فلو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**)٠

الســــادســـة: فــقــد الثــقة : من المعلوم أنه لايرقى شخص فى مكان أو مكانة إلا بتقارير تبين تمكنه ، ونزاهته وحرصه على الصالح العام ومع كثرة التقارير يصير الصغير كبير، ويكون منصبه خطير ، ثم إذ بنا نسمع عن اختلاسهم الملايين والملايين ، وييسرلهم الهروب خارج حظيرة أوطانهم حتى إن كلمة مسئول كبير غالبا تساوى (٠٠٠ كبير) ولك أن تضع الإجابة الصحيحة

فوق النقاط السابقة ، فهل لنا أن نتعلم أن التقارير معكوسة حتى يستفيد منها أهل (الكوسة) ،**أما أهل الحق : فقد أكلهم الذباب والبق ، ولاتجد القلب لأمثالهم يدق أو يرق ؟ لابد من عودة الثقة لاعودة الندل .**

السـابعـة : الاعتماد على الغير فى طلب التغير ، حتى أصبحنا عالة ، وينادى علينا فى سوق الحياة بأننا حثالة كسالة ، والله قد علمنا ولكن لآذان ولاقلب ولا فكر لنا (**إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم**) فهل سمعنا ؟ وإن سمعنا فهل عندنا القدرة على التنفيذ ؟.

الثـامـنـة : عدم القدرة على التمييز : فقدنا القدرة على التمييز، ووضع الألقاب فى أماكنها الصحيحة ، فهل لك أن تتصور وأنا الشيخ المعمم ذو الزى الأزهرى ربما نادانى من لايعرفنى باسمى بقوله لى (ياباشمهندس !) فإذا نادانى من يعرفنى فقال : يادكتور .. سألنى آخر وقال لى : سعادتك دكتور بطنه ولاقلب ؟! . ومن ذلك تسمية الراقصة بالفنانة القديرة ؟! وذات الباع الطويل فى التعرى والسكر برائدة التغيير ؟ والمحتال الكبير بأستاذ الجيل ؟!.

التـاسعـة :الهروب من عاداتنا وتقاليدنا العربية الإسلامية العريقة والتبرى منها إلى عادات الشواذ المقبوحين ، فى حين أن أغلب الأمم حولنا حريصة ألاتفرط فى ذرة منها، وإن كانت ضد التطور والتقدم ، فهذه نقرطة وتلك أخرى ، **ومن العجائب** أن النساء العربيات خلعن الحجاب وكل مامن شأنه التحشم ــ استجابة لزعم تحرير المرأة ــ وبقى الرجل العربى يلبس الثياب الفضفاض والخمار ــ أستغفر الله أعنى الغطرة ــ إلى الآن ! فهل ينتظرون من يحررهم أيضا ؟! أم أن الحال انتكس والأمر انعكس ؟! .

العـاشـرة : (نفسى نفسى) أصبح مبدأ الجميع ،وكلمة (**وأنامالى**) هى الأساس للتعامل ، وإذا كان الكل **(وانا مالى) فمن يكون ماله إذا ؟!** ماتت النخوة والشجاعة فترى الرجل يسرق ويزنى ويحرق ويخرب وكل مامن شأنه الدمار وكذا المرأة (ولامين يسمع ؟ ولامين يُجيب ؟!) وذلك تحت شعار (لاأسمع لاأرى لاأتكلم) و(انامالى) ؟!.

الحـاديـة عـشـرة : تفشى الكذب : حتى أصبحنا نكذب على أنفسنا ،وهو قمة الهوان والضعف ، فلا يكذب إلا الضعيف الجبان ، والخالى غالبا من كلمة إنسان

فلماذا لايكن مبدأنا الصراحة فالصراحة راحة ، وقد نفى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون المؤمن كذابا حينما سُئل (**أيكون المؤمن جبانا ؟ قال نعم ، أيكون المؤمن كذابا ؟ قال لا**) فلننظر إلى أنفسنا بعد هذا : هل نحن فعلا من المؤمنين ؟! •

وإذا كان الكذب ينجى مرة فإن الصدق ينجى ألف مرة ، فضلا عن راحة البال والضمير والتى هربت من الكثير والكثير •• فهل من عودة •• فالعودة جودة والعود أحمد لمن أراد ؟ •

الثانــيــة عشــرة : فرق تسد أصبحت سياستنا وهى منافية تماما لمبدأ (واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا) وقد حفظتنا المدارس والمعاهد قصة ذلك الرجل الذى جمع أولاده وجاء بحزمة من حطب ، وأعطى كل واحد منهم واحدة وطلب كسرها فكان الكسر سريعا ، حيث إنها سهلة ،وعندما جاء بحزمة مجتمعة وطلب منهم كسرها لم يستطيعوا ! وضربت مثلا لفضل كون الجماعة لايستطيع كسرها وإضعافها أحد •• حفظونا جميعا ذلك ، وحرصوا عليه ، كما أنهم حرصوا أيضا على عدم التطبيق فى واقعنا وحياتنا العربية الإسلامية بكل ما أوتوا من قوة ، وأظن أن الحال واضح ولا يحتاج إلى مزيد بيان •

الثــالثــة عــشــر : سياسة التجويع :حيث إن من لايملك قوته لايملك قوّته ، ولا يملك كلمته أيضا، فهل لهذا الجوع من نهاية ، وهل من اقتراح **متمثلا فى:** أن من يعمل فى الحكومة أو القطاع الخاص ألا يقبض سوى مصروف جيبه وعلى الدولة أن توفر الملبس والمسكن والمطعم وتعليم الولاد ، على أن تأخذ الباقى فلاحاجة لنا به بعد هذا التفضل ، وإلا فكيف يوفر الموظف لمثل هذه المتطلبات ومرتبه لايكفى أجرة الطريق أحيانا، إلا أن يسرق أويرتشى، كما أن القوانين التى وضعت للموظفين فى الزمن الماضى والذى كان يجد مايكفيه ويفيض حتى إن المثل قال (إن فاتك الميرى اتمرغ فى ترابه) ظلت تلك القوانين باقية عقبة كأوود فى وجهه، وذهب مافى الميرى وما فى ترابه أيضا، فما الحل حتى يفيق الناس ، ويحلموا بالشبع ولو مرة قبل أن يموتوا ؟!•

الرابــعــة عشــر: حب التفرعن والتسلط على الضعيف بدلا من نصرته فى مقابل المسالمة المزرية من الضعيف وفى المثل قالوا **(يافرعون إيه فرعنك ؟ قال مالقيتش حد يلمنى؟** وفى رواية **(يـلـُمنِى)** ؟! •

هذه بعض السلبيات والمثالب وغيرها عند غيرى كثيروكثير، كانت سببا فى اجتراء كل مجترء علينا فى الداخل والخارج على السواء ، فإذا أصلحناها وأصلحنا من أنفسنا فلحت الأمة ، ونجت من الظلمة وإلا فالطريق بعد ذلك مسدود .ولن يبق إلا ذل القيود .

ومن هذا المنطلق أقوم بواجبى بحكم مهنتى وتخصصى ، فى بيان سيرة خير الورى ، وإمام أهل الهدى ، زينة الدنيا وبهجتها ، ونور الآخرة وزينتها، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث أعددت سلسلة تتضمن لمحات من حياته تنير الطريق ، وتهدى السبيل ، وتوضح مكانه ومكانته عند ربه ، وعند من آمن به، لتكون زادا ونبراسا يهتدى به ويحتذى ، ليتحقق فينا قوله عزوجل **(لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)**

وقد أسميت الكتاب **(إلى مهيب ومهند لمحات من سيرة النبى محمد ﷺ)**

وأعنى بمهيب كل شاب لبيب من شباب الأمة ، علمه دينه الرجولة والاعتداد، والثقة بالنفس ، حتى خط لنفسه خطا وسط الرجال ، يعرف قدره ويهاب عند الذكر اسمه وفعله ، وهى صفة من صفات المصطفى، حيث كان صلى الله عليه وسلم مهيب الطلعة يقول الراوى **(من رآه بداهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه)** متمنيا أن يظل الثابت فى الحق على ثباته لايتغير، وأن يتغير هؤلاء الذين ضحك عليهم الشيطان ، فتشبهوا بالنساء بعد أن تشبهت النساء بالرجال ، فأصبحنا لانعرف كيف نفرق بين الجنسين ، ومن منهم يملأ العين؟! والعدو يقظ لاينام وقد أعد للجميع ألوان السهام ؟ .

وأعنى بمهند : شباب الأمة اليقظ الساهر على حماية أرضه ، ووطنه شاكى السلاح ،على استعداد للتضحية بكل ماهو غال ونفيس، لايترك سلاحه قط حتى يذوق الموت ، ومما وصف به الصحابى كعب بن زهير رسول الله ﷺ **فى قصيدته:**

إن الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول**

فبالى كل مهيب ومهند من شباب الأمة، هذه سيرة الحبيب محمد(إلا تنصروه فقد نصره الله) والله سائلكم عن نبيكم كيف يهان من أمثال هذا الجبان ؟ كيف يهان ونغمض لمثلها الأجفان ؟ كيف يهان وفى هذه الأزمان؟! كيف وصلنا إلى هذا الهوان ؟ بطن الأرض خير لنا من ظهرها ، ماذا سنقول لنبينا عندما يقول أهنت وأنتم حاضرون ؟ سخروا منى وأنتم تنظرون ؟ هل عرفتمونى فعلمتم قدرى ؟ هل حافظتم على الأمانات التى كُلفتم بها، والله قد أمركم (أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها)؟إلى غيرهاوغيرها ٠

فاللهم قدبلغت،ولسيرة نبيك قد كتبت وبينت فاللهم فاشهد اللهم فاشهد ٠

هذا : وقد اشتمل هذا الجزء على ميلاده حتى زواجه ، وأهم مافيه هو(**إثبات بنوته ﷺ من التوراة والإنجيل الموجودة بين يدى الناس اليوم**) وهو أهم مافى هذا الجزء وأخطره ٠٠٠٠

والله ولى التوفيق وهو حسبى ونعم الوكيل ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظي

المؤلف

ناصر الدين

أد/ عبد الله عبد العليم الصبان

أستاذالحديث وعلومه بجامعة الأزهر

١- الوصف الخَلْقى والخُلُقى لسيدنا محمد ﷺ

عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال : سألتُ خالى هند بن أبى هالةَ - وكان وصّافاً - عن حليَة[١] النبى ﷺ وأنا أشتهى أن يصف لى منها شيئاً أتعلَّقُ به فقال : كان رسول الله ﷺ فَخماً مُفَخَّماً ، يتلألأ وجهُهُ تلألؤ القمر ليلةَ البدرِ ، أطول من المربوع ، وأقصر من المُشَذَّب ، عظيم الهامة، رَجِلَ الشعر، إذا انفرقت عَقيصتُهُ فَرَق وإلا فلا يُجَاوِزُ شعرُهُ شحمةَ أُذُنَيهِ إذا هو وَفَّرَهُ أزهرَ اللون، واسعَ الجبينِ ، أزجَّ الحواجب سوابغَ فى غيرِ قرنٍ ، بينَهُما عرقٌ يُدرُّه الغضبُ ، أقنَىَ العرنين[٢] ، له نورٌ يَعلُوه، يَحسَبُهُ من لم يتأمّلْهُ أشمَّ ، كَثُّ اللحيةِ ، سَهلَ الخدّينِ ، ضَليْعَ الفم، أشنبَ، مُفَلَّجَ الأسنانِ، دقيقَ المَسرُبةِ ، كأنَّ عُنُقَهُ جِيدُ دُميَةٍ فى صفاءِ الفضةِ . مُعتدلُ الخَلْقِ ، بادنٌ متماسكٌ ، سواءُ البطنِ والصدر ، عريضُ الصدرِ ، بعيدُ ما بينَ المَنكِبينِ ، ضخمُ الكراديس[٣] ، أنورُ المُتَجَرَّدِ ، موصولُ ما بينَ اللَّبةِ والسُّرةِ بشعرٍ يجرى كالخط ، عارى الثديين والبطن وما سوى ذلك ، أشعرُ الذراعين والمَنكِبينِ وأعالىِ الصدرِ ، طويلُ الزنديين[١] ، رَحْبُ الراحةِ ، شَثْنُ الكفينِ والقدمينِ ، سائلُ أو سائرُ الأطراف ، خمصانُ الأخمصين[٢] ، مَسيحُ القدمين يَنبُوَ عنهما الماءُ ، إذا زالَ قَلْعاً ، يخطُو تكفياً ، ويمشى هَوْناً ، ذَريعُ المِشْيَةِ ، إذا مشى كأنَّما يَنْحطُّ من صَبَبٍ ، وإذا التَفَتَ التفتَ جميعاً، خافضُ الطَّرْفِ، نظرهُ إلى الأرضِ أكثرُ من نظره إلى السماءِ ، جُلُّ نظرهِ الملاحظةُ ،

---

(١) وصف النبى ﷺ . (٢) **أقنى العرنين :** العرنين طرف الأنف والقنا ارتفاع مع تحدُّب . (٣) ضخم رؤس العظام .

يسوقُ أصحابَه ويبدُرُ مَنْ لَقِيَ بالسلام .

قال : قُلْتُ : صف لى مَنْطقَهُ ؟ قال : كان رسولُ الله ﷺ متواصلَ الأحزانِ ، دائمَ الفكرةِ ، ليست له راحةٌ، طويل السَّكْتِ ، لا يتكلَّمُ فى غيرِ حاجةٍ ، يفتتحُ الكلام بأشداقِه ويختمُهُ بأشداقِه ، ويتكلَّمُ بجوامعِ الكَلِمِ ، فصلٍ لا فضولَ ولا تقصيرَ ، دَمثٌ ليس بالجافى ولا المهين ، يُعَظِّمُ النعمةَ وإن دقَّتْ ، لا يذُمُّ شيئاً غيرَ أنهُ لم يكن يذُمُّ ذَوّاقاً ولا يمدحُهُ ، لا تُغضبُه الدُّنيا وما كان لها ، فإذا تُعُدِّيَ الحقُّ لم يَعْرِفْهُ أحدٌ ، ولم يَقُمْ لغضَبِه شئ حتَّى ينتصرَ لَهُ ، ولا يَغضَبُ لنفسه ، ولا ينتصرُ لها ، إذا أشارَ أشارَ بكَفِّه كلِّها ، وإذا تعجَّبَ قَلَبَها ، وإذا تحدَّثَ ، اتَّصلَ بها ، يضربُ براحتِهِ اليُمْنَى باطنَ راحتُهُ اليسرى ، وإذا غَضِبَ أعرضَ وأشاح وإذا فَرِحَ غضَّ طرفَهُ ، جُلُّ ضَحكُهُ التبسم ، ويَفْتَرُّ عن مثل حَبِّ الغمام .

قال الحسنُ : فكتمتُها الحسينَ زماناً ، ثم حدَّثْتُهُ فوجدتُهُ قد سَبَقَنِى إليه فسألَهُ عمَّا سألتُ عَنهُ ، **ووجدتُهُ قد سألَ أباهُ عن مدخلِه ومخرَجِه وشكلِه فلم يَدَع منهُ شيئاً . قال الحسينُ** : فسألت أبى عن دُخولِ رسول الله ﷺ **فقال** : كانَ دخولُهُ لنفسِهِ مأذوناً له فى ذلك ، وكان إذا آوى إلى منزلِه جَزّأ دخولَهُ ثلاثةَ أجزاءٍ : جزءٌ لله ، وجزءٌ لأهلِهِ ، وجزءٌ لنفسه ثم جزَّء جُزْئَهُ بينَهُ وبينَ الناسِ وردَّ ذلك بالخاصَّةِ على العامَّةِ ولا يَدَّخِرُ عنهم شيئاً ، فكان من سيرتِهِ فى جُزءِ الأمَّةِ إيثارُ أهلِ الفضلِ بإذنِهِ وقسّمه على قدر فضلِهم فى الدين ، فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج ، فيتشاغلُ بهم ويَشْغَلُهم فيما أصلَحَهُمْ والأمَّةَ من

---

(١) الساعدين .

(٢) الذى لا يلصق بالأرض فى الوطء من باطنها .

مسألته عنهم وإخبارهم بالذى ينبغى لهم ويقولُ : ليُبلِّغ الشاهدُ الغائبَ وأبلغونى حاجةَ من لا يستطيعُ إبلاغها فإن من أبلغ سلطاناً حاجةَ من لا يستطيع إبلاغها ثبَّتَ الله قدميه يوم القيامةِ ولا يُذكَرُ عنده إلا ذلك ، ولا يَقبلُ من أحدٍ غيرَهُ ، يَدخُلونَ رُوَّاداً ، ولا يفترقونَ إلا عن ذَواقٍ ويخرجون أدِلّةٍ ــ يعنى على الخيرــ

قال : **وسألتُهُ عن مَخرجِهِ كيفَ كانَ يصنعُ فيه ، قال** : كان رسول الله ﷺ يَخزُنُ لسَانَهُ إلا مما يَعنيهِ ويُؤلِّفهم ولا ينفِّرُهم ، ويُكْرِمُ كريمَ كُلِّ قومٍ ويولّيه عليهم ويَحذَرُ الناسَ ، ويحترسُ منهم من غيرِ أن يَطْوى عن أحدٍ بِشرَهُ ولا خُلُقَهُ ، ويتفقَّدُ أصحابَهُ ، ويسألُ الناسَ عمَّا فى الناسِ ، ويُحَسِّنُ الحَسَنَ ويُقوِّيه ، ويُقَبِّحُ القَبيحَ ويُوهِّيهِ ، معتدلَ الأمرِ غيرَ مُختلفٍ ، لا يغفلُ مخافةَ أن يغفُلُوا أو يَملّوا ، لكلِّ حالٍ عندَهُ عتادٌ لا يَقْصُرُ عن الحقِّ ولا يجاوزهِ ، الذين يلونَهُ من الناسِ خيارهم وأفضلهم عنده أعمُّهُم نصيحةً ، وأعظَمُهم عِندَهُ أحسنُهم مواساةً . **قال** : فسألتُهُ عن مَجْلسهِ : كيف كان يصنعُ فيه ، **فقال** : كان رسول الله ﷺ لا يقومُ ولا يجلسُ إلا على ذكْرٍ ، ولا يُوطِنُ الأماكنَ وينهى عن إيطانها ، وإذا انتهى إلى قومٍ ، جَلَسَ حيثُ ينتهى به المجلسُ ويأمرُ بذلك ويُعطى كُلَّ جُلسائهِ نَصيبَهُ ولا يَحْسَبُ جَليسُهُ أن أحداً أكرمُ عليه منهُ ، من جَالَسَهُ أو قاوَمَهُ لحاجةٍ صابرَهُ حتى يكون هو المُنْصَرِفَ ، ومن سألَهُ حاجةً لم يردَّهُ إلا بها أو بميسورٍ من القولِ . قد وَسِعَ الناسَ منه بسْطُهُ وخُلُقُهُ ، فصارَ لهم أباً ، وصارُوا عندَهُ فى الحقِّ سواءً مجلسُهُ مجلسُ حلمٍ وحياءٍ وصَبرٍ وأمانةٍ ، لا تُرفَعُ فيه الأصواتُ ، ولا تُؤْبَنُ فيه الحُرَمُ ، ولا تَنْثَى فلتاتُهُ مُتعادلينَ يتفاضلونَ فيهِ بالتقوى ، متواضعينَ يوقِّرونَ فيه الكبيرَ ، ويرحمونَ فيه الصغيرَ ، ويؤثرونَ ذا الحاجةِ ويحفظونَ الغريبَ.

قال : قلت : كيفَ كانتْ سيرَتُهُ فى جُلسائه ؟

وفى رواية : فسألتُهُ عن سيرتِهِ فى جُلسائِهِ ، **فقال :** كان رسولُ ﷺ دائمَ البِشْرِ، سَهْلَ الخُلُقِ ، ليِّنَ الجانب ، ليسَ بفظٍّ ، ولا غليظٍ ، ولا سخَّابٍ، ولا فحَّاشٍ ولا عيَّابٍ ولا مَدَّاحٍ ، يتغافَلُ عمّا لا يَشْتهى ولا يُؤْيِسُ منه {راجيه} ولا يُجيبُ فيه، قد تركَ الناس من ثلاثٍ : كانَ لا يَذُمُّ أحداً ، ولا يُعيِّرُهُ ، ولا يطلبُ عورَتَهُ ، ولا يتكلَّمُ إلا فيما رجا ثوابَهُ ، إذا تكلَّمَ أطرقَ جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطيرُ، فإذا سكتَ ، تكلّموا، ولا يتنازعون عندَهُ –منَ تكلَّمَ أنصتوا له حتى يَفْرُغَ– حديثُهم عندَه حديثُ أوَّليتهم – يضحكُ مما يضحكونَ منه ، ويتعجَّبُ ممّا يتعجبون منه ، ويصبرُ للغريبِ على الجفوةِ فى منطقه ومسألتِهِ حتى إن كان أصحابُهُ ليستجلبونَهُم – فى المنطق – **ويقول :** إذا رأيتُم طالبَ الحاجة يطلبُها فارفدُوهُ ، ولا يقبلُ الثناء إلا من مكافئ ، ولا يَقطعُ على أحدٍ حديثَهُ حتّى يجورَ فيقطعُهُ بنهيٍ أو قيام . **قال** : فسألتُهُ : كيفَ كان سكوتُهُ ؟ **قال** : كان سكوتُ رسول الله ﷺ على أربعٍ : الحلِ ، والحذر ، والتقدير ، والتفكُّر ، فأما تقديرهُ ففى تسويتِهِ النظرَ والاستماعَ بين الناس ، وأما تذكُّرُهُ – **أو قال** : تفكُّرُهُ ففيما يَبْقَى ويفْنَى وجُمعَ له ﷺ : الحلمُ، والصبرُ ، وكان لا يُغضبُهُ شئٌ ولا يستفزُّهُ ، وجُمِعَ له الحذرُ فى أربعٍ : أخذُهُ بالحُسنى ليقتدى به ، وتركه القبيحَ ليُنتهى عنه ، واجتهاده الرأى فيما أصلحَ أُمَّتَهُ والقيام فيما جمع لهم الدنيا والآخرة ﷺ[1][2] .

---

(١) الشمائل للترمذى ٤٨٤/١٠ ، قال المزى روى الترمذى أكثرهُ فى كتاب الشمائل عن سفيان ابن وكيع مُقَطَّعاً ، فوقع لنا موافقةً له عالية ولله الحمد ٢١٧/١ .

(٢) تهذيب الكمال ٢١٣/١ .

وعن على بن أبى طالب ﷺ قال : كان رسول ﷺ لا بالقصير ولا بالطويل ، ضخمَ الرأسِ واللحية ، شَثْنَ الكفينِ والقدمين ، مشرباً وجهُهُ حُمْرة ، طويلُ المَسْرُبةِ ، ضخمَ الكراديس إذا مَشَى تكفأَ تكفياً كأنما ينحطُ من صببٍ ، لم أر قبلَهُ ولا بعده مثله(١) .

وروى الترمذى فى الشمائل بسنده عن إبراهيم بن محمد من ولد على بن أبى طالب ﷺ قال : " كان علىُّ إذا وصفَ رسولُ الله ﷺ **قال** : لم يكُنْ رسولُ الله ﷺ بالطويل المُمغَّطِ ، ولا بالقصير المتُردِّد ، وكان ربعةً من القومِ ، لم يكن بالجعد القطط ولا بالسَّبْطِ ، كان جعداً رَجِلاً ، ولم يكُنْ بالمطَهَّم ولا بالمُكلثَمِ ، وكان فى وجهه تدوير، أبيضٌ مُشْرَبٌ ، أدعجُ العينين، أهدبُ الأشفار ، جليلُ المشاش والكتدِ ، أجردُ ، ذو مَسْرُبُةِ ، شثنُ الكفين والقدمين ، إذا مشى تقلَّعَ كأنما ينحطُّ فى صببٍ ، وإذا التفتَ التفتَ معاً ، بين كتفيه خاتمُ النُّبوةِ، وهو خاتم النبيين، أجودُ الناسِ صدراً وأصدقُ الناسِ لهجةً، وألينُهُم عريكةً، وأكرمُهُم عشيرةً، من رآه بديهةً هابه، ومن خالطة معرفةً أحبهُ، **يقول ناعتُهُ** : لم أر قبلَهُ ولا بعده مثلَهُ ﷺ . **قال أبو عيسى** : سمعت أبا جعفر محمد بن الحسين **يقول** : سمعتُ الأصمعىَّ يقول فى تفسير صفة النبى ﷺ .

المُمَغَّطت : الذاهبُ طولاً . **قال** : وسمعتُ أعرابياً **يقولُ** : فى كلامه : تمغَّطَ فى نُشَّابته ، أى مدَّها مدًّا شديداً . **المتردِّدُ** : الدّاخلُ بعضُهُ فى بعضٍ قِصَراً . **وأما القَطَطُ** : فالشديدُ الجعودةِ . **والرَّجِلُ** : الذى فى شعرهِ حُجونةٌ : أى تثنٍّ قليل . **وأما المُطَّهمُ** : فالبادنُ الكثير اللحم . **والمكلثمُ** : المدوَّرُ الوجه . **والمُشْرَبُ** : الذى فى بياضه حُمْرةٌ. **والأدعجُ** : الشديدُ سوادِ العين . **والأهدب** : الطويلُ

الأشفار . **والكتدُ** : مُجتمعُ الكتفين ، وهو الكاهل . **والمسرُبةُ** : هو الشعرد الدقيقُ الذى كأنه قضيبٌ من الصدر إلى السرة . **والشثْنُ** : الغليظُ الأصابعِ من الكفين والقدمين . **والتَّقلُّعُ** : أن يمشى بقوة. **والصَّبَبُ** : الحدور ، **تقولُ** : انحدرنا فى صبوبٍ وصببٍ . **جليل المُشاش** : يريد رؤوس المناكب . **والعشرة** : الصحبة .. **والعشيرُ** : الصاحب . **والبديهةُ** : المفاجأةُ ، **يقالَ** : بدهتُهُ بأمر : أى فجأتُهُ .

وروى الترمذى بسنده عن أنس بن مالك قوله : "كان رسول الله ﷺ ليسَ بالطويل البائِن ، ولا بالقصيرِ ، ولا بالأبيض الأمهقِ ، ولا بالآدم ، ولا بالجعد القطط ولا بالسبط ، بعثه الله على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشرَ سنين وبالمدينة عشرَ سنين ، فتوفَّاهُ الله تعالى على رأس ستين وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرةً بيضاء[1][2] .

---

(١) الشمائل ١٠/٤١٥ . (٢) الشمائل للترمذى ١٠/٤١٦ .

٣- النسب النبوى

لنسب النبى ﷺ ثلاثة أجزاء : جزء اتفق على صحته أهل السير والأنساب وهو إلى عدنان ، وجزء اختلفوا فيه ما بين متوقف فيه وقائل به، وهو ما فوق عدنان إلى إبراهيم عليه السلام ، وجزء لا نشك أن فيه أموراً غير صحيحة وهو ما فوق إبراهيم إلى آدم عليهما السلام ، وهاك تفصيل تلك الأجزاء الثلاثة.

الجزء الأول : هو السيد الأكرم الذى شرف الناس بوجوده " محمد بن عبد الله – من زوجه آمنة بنت وهب الزهرية القرشية – **ابن عبد المطلب** – من زوجه فاطمة بنت عمرو المخزومية القرشية – وكان عبد المطلب شيخاً معظماً فى قريش يصدرون عن رأيه فى مشكلاتهم ويقدمونه فى مهماتهم – **ابن هاشم** واسمه عمروا – من زوجه سلمى بنت عمرو النجارية الخزرجية – وسمى هاشماً لأنه وقعت فى قريش مجاعة فهشم لهم كعكاً كله هشماً ودقه دقاً ثم صنع لهم وللحُجاج طعاماً شبه الثريد ، وهو الذى سن رحلة الشتاء والصيف : قال شاعر من قريش أو من العرب :

عمرو الذى هشم الثريد لقومه — قوم بمكـــة مسنتين عجـــافِ
سُنَّتْ إليـــه الرحلتان كلاهمـــا — سفر الشتاء ورحة الأصياف

ابن عبد مناف واسمه المغيرة – من زوجه عاتكة بنت مرة السلمية – **ابن قُصى** – من زوجه حُبّى بنت حُلَيل الخزاعية ، **وكان قصى** قد ولى أمر البيت الحرام وأمر مكة ، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة وتملّك على قومه وأهل مكة فملكوه ، فكان قصى أولَ بنى كعب بن لؤى أصاب ملكاً أطاع له به قومه ، فكانت إليه الحجابة ، والسقاية ، والرفادة ، والندوة ، واللواء ، فحاز شرف مكة كُلَّه ، وقطع

مكة رِباعاً بين قومه فأنزل كُلَّ قوم من قريش منازلهم من مكة التى أصبحوا عليها ، ويزعمُ الناسُ أن قريشاً هابوا قطع شجر الحرم فى منازلهم فقطعها قُصىّ بيده وأعوانه ، فسمتّه قريشٌ مُجمِّعاً لما جمع من أمرها ، تيمنت بأمره ، فما تُنكح امرأةٌ ولا يتزوج رجلٌ من قريش ، وما يتشاورون فى أمر نزل بهم ولا يعقدون لواءً لحرب قومٍ من غيرهم إلا فى داره ، وغير ذلك من الأمور ، فكان أمره فى قومه من قريش فى حياته ، ومن بعد موته ، كالدِّين المتبع لا يُعمل بغيره ، واتخذ لنفسه دار الندوة وجعل بابها إلى مسجد الكعبة ففيها كانت قريش تقضى أمورها قال الشاعر :

قُصىٌّ لعمرى كان يُدعى مُجَمِّعاً ... به جمَّعَ الله القبائلَ من فهرِ[1]

ولما أشرف على الموت جعل كل ذلك فى يد أحد أولاده واسمه عبد الدار ، لكن بنو عبد مناف أجمعوا رأيهم على أن لا يتركوا بنى عمهم عبد الدار يستأثرون بهذه المفاخر ، وكاد يفضى الأمر إلى القتال لولا أن تدارك الأمر عقلاءُ الفريقين فأعطوا بنى عبد مناف **السقاية والرفادة** فدامتا فيهم إلى أن انتهيتا للعباس بن عبد المطلب ثم لبنيه من بعده ، **أما الحجابة** فبقيت بيد بنى عبد الدار ، وأقرها لهم الشرع فهى فيهم إلى الآن " وهم بنو شيبة بن عثمان بن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، **وأما اللواء** فدام فيهم حتى أبطله الإسلام وجعله حقاً للخليفة على المسلمين يضعه فيمن يراه صالحاً له وكذلك الندوة ، " **وقصى بن كلاب** " من زوجة فاطمة بنت صعد وهى يمانية من أزد شنؤة ، و " **كلاب بن مرة** " وأم " **كِلاب** " هند بنت سُرير بن ثعلبة بن الحارث بن

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/١٢٤-١٢٦ .

فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة . و " مرة بن كعب " **وأم مرة :** وحشية بنت شيبان بن مُحارب بن فهر بن غالب " و "كعب بن لؤى" **فأم كعب :** مَاوية بنت كعب بن القين بن جَسْر من قُضاعة، و"لؤى بن غالب" **وأمه** : سلمى بنت عمرو الخزاعى، و"غالب بن فهر" **وأمه** : ليلى بنت سعد بن هُذيل بن مدركة ، و " فهر بن مالك " **وأم فهر** : جندلة بنت الحارث بن مُضاض الجرهمى ، و "مالك بن النضر" **وأم مالك** : عاتكة بنت عَدْوان بن عمرو بن قيس بن عيْلان ، و " النضر بن كنانة " **وأم النضر** : بَرةَ بنتُ مُرّ بن أدّ بن طابخة بن اليأس بن مضر "، **قال ابن هشام : النضر** : قريش ، فمن كان من ولده فهو قُرشى ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى ، **ويقال** : فهر بن مالك : قريش ، فمن كان من ولده فهو قُرشى، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى، وأما **اشتقاق قريش: فقيل :** من التقريش وهو التجمع بعد التفرق وذلك فى زمن قصى بن كلاب فإنهم كانوا متفرقين فجمعهم بالحرم . **وقيل** : سميت قريش من التقريش وهو التكسب والتجارة ، **وقال الجوهرى** : القرش الكسب والجمع ، وقد قرش يقرشُ قال الفراء وبه سميت قريش وهى قبيلة وأبوهم النضر بن كنانة، فكل من كان من ولده فهو قرشى دون ولد كنانة فما فوقه، **وقيل** : من التفتيش ، **قال هشام بن الكلبى** : كان النضر بن كنانة يسمى قريشاً لأنه كان يقرش عن خلة الناس وحاجتهم فيسدها بماله ، **والتقريش** : هو التفتيش، وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيرفدونهم بما يبلغهم بلادهم فسموا بذلك من فعلهم وقرشهم قريشاً ، حكى ذلك الزبير بن بكار .

وقيل : قريش تصغير قرش وهو دابة فى البحر .

قال الشاعر :

وقريشٌ هى التى تسكن البحرَ	**بهـا سُمِّيـتْ قريـشُ قُريشاً**
تأكـلُ الغـثَ والسميـن ولا	**ولا تتركنّ لذى الجناحين ريشاً**
هكذا فى البلادِ حـيّ قريـش	**يأكلون البـلادَ أكـلاً كميشـاً**
ولهـم آخـرَ الزمـان نبـىٌ	**يُكثرُ القتـلَ فيهـمُ والخموشا**

وقد روى البيهقى بسنده أن معاوية بن أبى سفيان سئل ابن عباس : لم سُمِّيتْ قريشٌ قريشاً ؟ فقال ؛ لدابة تكون فى البحر تكون أعظم دوابه فيقال لها القرش لا تمر بشئ من الغث والسمين إلا أكلته ، قال فأنشدنى فى ذلك شيئاً فأنشده شعر الجُحمى السابق ذكره .

وقيل : سموا بقريش بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة وكان دليل بنى النضر وصاحب ميرتهم فكانت العرب تقول قد جاءت عير قريش قالوا وابن بدر بن قريش هو الذى حفر البئر المنسوبة إليه التى كانت عندها الوقعة العظمى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان . **ويقال :** فى النسبة إلى قريش قرشى وقريشى .

وقد روى مسلم فى صحيحه بسنده عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى هاشماً من قريش واصطفانى من بنى هاشم " . **قال ابن عبد البر :** بنو عبد المطلب فصيلة رسول ﷺ ، وبنو هاشم فخذه ، وبنو عبد مناف بطنه وقريش عمارته وبنو كنانة قبيلته ومضر شعبه صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين . و " **كنانة بن خزيمة** " من زوجه عُوانة بنت سعد بن قيس بن عَيْلان بن

مُضر، و " **خزيمة بن مدركة** " من زوجه سلمة بنت أسلم من قضاعة ، و "**مدركة بن إلياس**" **وأم مدركة :** خندف من اليمن المضروب بها المثل فى الشرف والمنعة وكان اسم " مدركة " عامراً ، وكان له أخ يسمى عمراً وزعموا أنهما كانا فى إبل لهما يَرْعيانها ، فاقتنصا صيداً فقعدوا عليه يطبخانه، وعَدَتْ عاديةٌ على إبلهما، **فقال عامر لعمروا :** أتدرك الإبلَ أم تطبخ هذا الصيد ؟ **فقال عمرو:** بل أطبُخ فلحق عامرٌ بالإبل فجاء بها ، فلما راحا على أبيهما حدّثاه بشأنهما، **فقال لعامر :** أنت " مدركة " ، **وقال لعمرو :** وأنت " طباخة " وخرجت أمهم لما بلغها الخبرُ وهى مسرعة ، **فقال لها :** تُخندفين فسميت خِندف ، وهى التى ضربت الأمثال بحزنها على موت إلياس ، وذلك أنها تركت بنيها وساحت فى الأرض تبكيه حتى ماتت ، وإنما نُسب أولادها إليها لأنها حين تركتهم شغلا لحزنها على أبيهم وكانوا صغاراً رحمهم الناس فقالوا : هؤلاء أولاد خِندف التى تركتهم وهم صغار أيتام . و " إلياس بن مضر " **وأم إلياس :** الرباب بنت حيدة بن معد بن عدنان ، و "مضر بن نزار " **وأم مضر :** سودة بنت عك بن عدنان ، **ويقال :** إن مضر أول من سنَّ حداء الإبل ، وكان ذلك فيما يزعمون أنه سقط عن بعير فوثئت يده ، وكان أحسن الناس صوتاً – وكان حكيماً جميلاً – فكان يمشى خلف الإبل **ويقول :** وا يدياه وا يدياه يترنم بذلك فأعنقت الإبل وذهب كلالها، فكان ذلك أصل الحداء عند العرب(١)(٢)، و "**نزار بن معد**" من زوجه معانة بنت جوشن من بنى دب ابن جرهم وسمى نزار من النذارة وهى القلة ، وهو أجمل أهل زمانه وأرجحهم عقلاً و" **معد بن عدنان** " ذكر أبو جعفر الطبرى وغيره أن الله أوحى

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٧٣، ٧٤ .   (٢) البداية والنهاية ٢/١٩٩ .   (١) البداية والنهاية ٢/٢٠٢ .

فى ذلك الزمان إلى " أرميا بن حلقيا " – نبى من أنبياء بنى إسرائيل– أن أذهب إلى بخت نصر فأعلمه أنى قد سلطته على العرب ، وأمر الله أرميا أن يحمل معه " **معد بن عدنان** " على البراق كى لا تُصبه النقمة فيهم فإنى مستخرِج من صلبه نبياً كريماً أختم به الرسل ففعل أرميا ذلك واحتمل " مُعداً " على البراق إلى أرض الشام فنشأ مع بنى إسرائيل ممن بقى منهم بعد خراب بيت المقدس وتزوج هناك امرأة اسمها معانة بنت جوشن من بنى دب بن جرهم قبل أن يرجع إلى بلاده ثم عاد بعد أن هدأت الفتن وتمخضت جزيرة العرب وكان " راخيا " كاتب **أرميا** قد كتب نسبه فى كتاب عنده ليكون فى خزانة أرمياء فيحفظ نسب معد كذلك ، و " عدنان " جد عرب الحجاز ولا خلاف أنه من سلالة إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليهما السلام واختلفوا فى عدة الآباء بينه وبين إسماعيل على أقوال كثيرة فأكثر ما قيل أربعون أباً وهو الموجود عند أهل الكتاب أخذوه من كتاب رخيا كاتب أرميا بن حلقيا ، **وقيل** : ثلاثون ، **وقيل** : عشرون ، **وقيل** : خمسة عشر ، **وقيل** : عشرة ، **وقيل** : تسعة ، **وقيل** : سبعة ، **وقيل** : إن أقل ما قيل فى ذلك أربعه **لما رواه موسى بن يعقوب عن عبد الله بن وهب بن زمعة الزمعى عن عمته عن أم سلمة عن النبى ﷺ أنه قال** : معد بن عدنان بن أدد بن زند بن اليرى بن أعراق الثرى ، **قالت** : أم سلمة فزند هو الهميسع واليرى هو نابت وأعراق الثرى هو إسماعيل لأنه ابن إبراهيم وإبراهيم لم تأكله النار كما أن النار لا تأكل الثرى(١) .

والخلاصة فى هذا الجزء أنه : محمد ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب ابن

---

(١) البداية والنهاية ٢/١٩٤ .

هاشم بن عبد مناف بن قُصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، **وهذا الجزء المتفق على صحته .**

الجزء الثانى : ما فوق عدنان ، **وعدنان هو :** ابن أد بن هميسع بن سلامان بن عوص بن بوز بن قموال بن أُبىّ بن عوام بن ناشد بن حزا بن بلداس بن يدلاف بن طابخ بن جاحم بن ناحش بن ماخى بن عيص بن عبقر ابن عبيد بن الدعا بن حمدان بن سنبر بن يثربى بن يحزن بن يلحن بن أرعوى بن عيص بن ديشان بن عيصر بن أفناد بن أيهام بن مقصر بن ناحث بن زارح بن سمى بن مزى بن عوضة بن عرام بن قيدار ابن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، **وهذا الجزء مختلف فيه كما سبق أن ذكرت من ثلاثين إلى أربعة .**

الجزء الثالث : ما فوق إبراهيم : وهو إبراهيم بن تارح - واسمه آزر - بن ناحور بن ساروع - أو ساروغ - بن راعو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح - عليه السلام - بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ - يقال هو إدريس عليه السلام - بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن آنوشة بن شيث بن آدم عليهما السلام[١] .

روى البيهقى بسنده عن أنس بن مالك قال : بلغ النبى ﷺ أن رجالاً من كِندة يزعمون أنهم منه وأنه منهم **فقال :** " إنما كان يقول ذلك العباس وأبو سفيان بن حرب فيأمَنا بذلك ، وإنا لن ننتفى من آبائنا ، نحن بنو النضر بن كنانة ، **قال**

---

(١) أنظر كتب السيرة جميعاً ، وكتاب الرحيق المختوم ، صـ ٣٨ .

: وخطب النبى ﷺ **فقال** : " **أنا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن** عبد المناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مضر بن نذار ، وما افترق الناس فرقتين إلا جعلنى الله فى خيرها فأخرجتُ من أبوى فلم يصبنى شئ من عهر الجاهلية وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبى وأمى ، فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً " **رواه مالك** .

وروى الحاكم والبيهقى بسنديهما عن ابن عمر قال : إنا لقعود بفناء النبى ﷺ إذ مرت به امرأة ، فقال بعض القوم هذه ابنة رسول الله ﷺ **قال** **أبو سفيان** : مثلُ محمد فى بنى هاشم مثل الريحانة فى وسط النتن ، فانطلقت المرأة فأخبرت النبى ﷺ فجاء رسول الله ﷺ **يُعرف فى وجهه الغضب فقال** : " ما بال أقوال تبلغنى عن أقوام إن الله خلق السموات سبعاً فاختار العلياء منها فأسكنها من شاء من خلقه ، ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بنى آدم ، واختار من بنى آدم العرب ، واختار من العرب مضر ، واختار من مضر قريشاً ، واختار من قريش بنى هاشم ، واختارنى من بنى هاشم فأنا خيار من خيار ، فمن أحب العرب فبحبى أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم " .

وروى الحاكم والبيهقى من حديث عاشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " قال لى جبريل قلبتُ الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بنى أب أفضل من بنى هاشم " ، **وقد ثبت فى الصحيح أن رسول** ﷺ **قال** : " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر " .

وفى هذا المعنى يقول أبو طالب يمتدح النبى ﷺ :

إذا اجتمعتْ يوماً قريشٌ لمفخرٍ فعبدُ منافٍ سِرُّها وصميمُها

فإن حصلتْ أشرافُ عبدِ منافِها ففى هاشمٍ أشرافُها وقديمها

وإنْ فخرتْ يوماً فإن محمداً هو المصطفى من سرّها وكريمها

تداعت قريشٌ غثها وسمينها علينا فلم تظفر وطاشت حلومها

وكُنَّا قديماً لا نُقرُ ظلامةً إذا ما ثنوا صُعرَ الخدودِ نُقيمها

ونحمى حِماها كل يوم كريهةٍ ونضرب عن أحجارها من يرومها

بنا انتعش العودُ الذواء وإنما بأكنافها تَندى وتنمى أرومَها

٣-حفر بئر زمزم ونذر عبد المطلب ذبح ولده

ولى عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمّه المُطَّلِبْ فأقامها للناس ، وأقام لقومه ما كان آباؤه يُقيمون قبلَهُ لقومهم من أمرهم ، وشَرفُ فى قومه شرفاً لم يبلغهُ أحدٌ من آبائه ، وأحبَّهُ قومه وعَظُم خَطرَهُ فيهم .

ومن المعلوم أن ماء زمزم نبعت من تحت قدم سيدنا إسماعيل عليه السلام عندما جاء به أبوه إلى مكان البيت فتركه وأمه هناك فى وادٍ غير ذى زرع ، وغير ذى ماء ، وكان من تقدير الخير ما كان من مجيئ قبيلة جرهم وزواج إسماعيل منهم وصاروا أخوال أولاده ، وكان لهم سلطان فى المكان ومرت السنين وافترت جرهم واجترأت على الحرم ،مع تحذير مُضاض بن عمرو بن الحارث الجرهمى لهم من مغبة الترف والفجور فى البلد الحرام ولكنهم لم يسمعوا له ، فعاقبهم الله أولاً بإذهاب ماء البئر حيث نضب الماء، ولم يُجد تحذير مُضاض قومه عاقبة ما انغمسوا فيه من ترف، وأيقن أن الأمر زائل عليهم فعمد إلى بئر زمزم فأعمق حفرها ، وإلى غزالتين من ذهب كانتا بالكعبة مع طائفة من الأموال التى كانت تُهدى إلى البيت الحرام فدفعها بقاع البئر وأهال الرمال عليها آملاً أن يعود له الأمر يوماً فيُفيد من الكشف عنها ثانياً ، وثبت عليهم قبيلة خزاعة للقيام بالأمر وأخذ المناصب فى البيت الحرام والبلد الحرام فخرج ومعه بنو إسماعيل من مكة ، ووليت خزاعة أمرها وظلّت تتوارثه حتى آل إلى قصى بن كلاب الجد الخامس للنبى ﷺ أمر مكة[1][2] . ولم يفكر أحد إلى زمن عبد المطلب من حفر بئر زمزم من جديد حيث قد خَفيت معالمها على أهل الحرم .

---

(١) أخبار مكة ، ١/١٠٠ .   (٢) حياة محمد ، صـــ ١١٠ .

هذا : وكان الناس بعد طمس جرهم معالم بئر زمزم قد احتفروا بئاراً بمكة من أجل إقامة الحياة واستمرارها ومن أجل سقاية الحجيج ، وكانت كالتالى :

قال ابن اسحاق :

١- حفر عبدُ شمس بن عبد مناف "**الطوًى**" وهى البئر التى بأعلى مكة عند البيضاء ، دار محمد بن يوسف الثقفى ، **وفيها تقول سبيعة عبد شمس:**

إن " الطوى " إذا ذكرتم ماءها　　　صوب السحاب عذوبة وصفاء

٢- وحفر هاشم بن عبد مناف " **بَذَّر** " وهى البئر التى عند المُستَنْذَر خَطْم الخَنْدمة - جبل بمكة - على فم شِعْب أبى طالب ، وزعموا أنه قال حين حفرها : لأجعلنّها بلاغاً للناس .

٣- وحُفر " **سَجْلَةَ** " وهى بئر المُطعم بن عَدِىّ بن نوفل بن عبد مناف التى يسقون عليها اليوم ، ويزعم بنو نوفل أن المُطعم ابتاعها - اشترها - من أسد بن هاشم ، ويزعم بنو هاشم أنه وهبها له حين ظهرت زمزم ، فاستغنوا بها عن تلك الآبار ، **ويقال** : إن الذى حفر سجلة ليس هاشماً وإنما هو قصى ، ويرون عنه أنه قال حين حفرها :

أنا قصى وحفرتُ سجلة　　　تروى فَزُغلة

ولما وهبها بنو هاشم للمطعم بن عدى **قالت خالدة بنت هاشم :**

نحن وهبنا لعدى سجلة　　　تروى الحجيج زُغلة فزُغلة

والزغلة : الدفعة أى تروى الحجيج جماعة وراء جماعة .

٤- وحفر أُمية بن عبد شمس **الحَفْر أو الجفر** لنفسه .

٥- وحفرت بنو أسد بن عبد العزى " سُقَّية " وهى بئر بنى أسد وقد روى " شُفَيَّة " وهى بئر قديمة كانت بمكة .

قال أبو عبيدة فى كتاب الآبار : وحفرت بنو أسد شُفيقة **فقال حويرث بن أسد :**

ماء شُفيقة كصوب المُزن وليس ماؤها بطرقٍ أجن

٦- وحفرت بنو عبد الدار **أُمُّ أحرار** ويروون عن أمية بنت عميلة بن السباق بن عبد الدار امرأة العوام بن خويلد حين حفرت بنو عبد الدار أم أحراد :

نحن حفرنا البحر أم أحراد ليست كبذر البرور الجماهر

فأجابتها ضرتها صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام ﷺ :

نحـــن حفرنــــا بَـــذَّر تسقى الحجيـــج الأكبر
مـــن مُقبـــل ومدبـــر وأم أحـــــراد بثـــــر

تقصد من كلمة " بثر " قليل الماء .

٧- وحفرت بنو جُمع " السُنْبلة " وهى بئر خلف بن وهب .

٨- وحفرت بنو سهم " **الغمر** " بئر قديمة بمكة حفرتها بنو سهم وفى ذلك يقول شاعرهم :

نحن حفرنا الغمر للحجيج تثج مـــاءً أيمـــا ثجيـــج

٩- وكانت هناك آبار حفائر خارجاً من مكة قديمة من عهد مُرَّة بن كعب ، وكلاب بن مُرة ، وكبراء قريش الأوائل منها يشربون وهى" **رُمَّ** "بئر مرة بن كعب بن لؤى و " **خُمّ** " بئر بنى كلاب بن مرة . **قال الشاعر :**

سقى الله أمواهاً عرفتُ مكانها   جُراباً وملكوماً وبذَّر والغمرا[1]

و " جراب " و " ملكوم " أسماء آبار للمياه بمكة أيضاً .

الرؤيا التى رآها عبد المطلب فى حفر زمزم

وبينما عبد المطلب نائم فى الحِجر - **الحجر هو** : الجزء الملتصق بالكعبة والمكمل لها وهو شبه السور المبنى إلى ارتفاع طول الرجل - إذ أُتى فأُمر بحفر زمزم . **قال ابن إسحاق** : وكان أول ما ابتدئ به عبد المطلب من حَفْرها ، كما حدثنى يزيد بن أبى حبيب المصرى عن مرثد بن عبد الله اليَزَنىّ عن عبد الله بن زُرير الغافقى : أنه سمع على بن أبى طالب ﷺ يُحدث حديث زمزم حين أُمر عبد المطلب بحفرها **قال** : **قال عبد المطلب** : إنى لنائم فى الحجر إذ أتانى آتٍ **فقال** : احفر طيبة[2] **قال** : **قلتُ** : وما طيبة ؟ **قال** : ثم ذهب عنى فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعى فنمتُ فيه ، فجاءنى **فقال** : احفر بَرَّة[3] . **قال** : وما برَّة ؟ **قال** : ثم ذهب عنى فلما كان الغد رجعتُ إلى مَضْجعى فنمتُ فيه ، فجاءنى **فقال** : احفر المضنونة[4] . **قال** : وما المضنونة ؟ **قال** : ثم ذهب عنى ، فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعى فنمْتُ فيه ، فجاءنى **فقال** : احفر زمزم . **قال** : **قلتُ** : وما زمزم ؟ **قال** : لا تنزف[5] أبداً ولا تُذم[6] ، تسقى الحجيج الأعظم ، وهى بين الفرث والدم ، عند نُقرة الغراب الأعصم ، عند قرية النَّمل .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/١٤٧ .   (٢) **قيل لزمزم طيبة** : لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم .

(٣) **وقيل لها برة** : لأنها فاضت على الأبرار وغاضت عن الفجار . (٤) **وقيل لها مضنونة** : لأنها ضن بها على غير المؤمنين فلا يتضلع منها منافق .   (٥) **لا تنزف** : لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها .

(٦) **لا تذم** : أى لا توجد قليلة الماء ، **تقول** : أذممت البئر ، إذا وجدتها قليلة الماء .

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين قيل له ذلك ، **قال** : وأين هى ؟ **فقيل له**: عند قرية النمل، حيث ينقرُ الغراب غداً، والله أعلم أى ذلك كان[٤].

قال ابن إسحاق : فلما بيُن له شأنها ، ودُلَّ على موضعها ، وعرف أنه صُدِق ، غدا بمعْوله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب ، ليس له يومئذ ولدٌ غيرَه ، فحفر فيها : فلما بدا لعبد المطلب الطيُّ[٥] كبر ، فعرفت قريشٌ أنه قد أدرك حاجته ، فقاموا إليه **فقالوا** : يا عبد المطلب ، إنها بئرُ أبينا إسماعيل ، وإن لنا فيها حقاً فأشْرِكْنَا معك فيها ، **قال** : ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمر قد خُصِصْتُ به دونكم ، وأعْطيته من بينكم ، **فقالوا له** : فأنصفنا فإنا غيرُ تاركيك حتى نخاصمك فيها ، **قال** : فاجعلوا بينى وبينكم مَنْ شئتم أُحاكمكم إليه ، **قالوا** : كاهنة بنى سعد هُذَيم ، **قال** : نعم ، **قال** : وكانت بأشراف الشام ، فركب عبد المطلب ومعه نَفَر من بنى أبيه من بنى عبد مناف ، وركب من كل قبيلة من قريش نَفَر ، **قال** : والأرض إذ ذاك مَفاوز، **قال** : فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فنى ماءُ عبد المطلب وأصحابه ، فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة ، فاستسقوا مَنْ معهم من قبائل قريش ، فأبوا عليهم **وقالوا** : إنا بمفازة ، ونحن نخشى على أنفسنا مثلَ ما أصابكم ، فلما رأى عبد المطلب ما صنع القومُ وما يتخفوف على نفسه وأصحابه ، **قال** : ماذا ترون ؟ **قالوا** : ما رأيُنا إلا تبعٌ لرأيك فمُرْنا بما شئت ، **قال** : فإنى أرى أن يَحْفِر كلَّ رجلٍ منكم حفرته لنفسه بما بكم الآن من القوة ، فكلما مات رجل دَفعه أصحابه

---

(٤) السيرة لابن هشام ، ١٤٦/١ .

(٥) الطىُّ : الحجارة التى طوى به البئر .

فى حُفْرته ثم واروه ، حتى يكون آخرُكم رجلاً واحداً ، فضيْعة رجلٍ واحدٍ أيسر من ضيعةِ ركبٍ جميعاً ، **قالوا** : نعم ما أمرتَ به .. فقام كل واحدٍ منهم فحفر حفرته ، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت ، لا نضرب فى الأرض ولا نبتغى لأنفسنا ، لعجز ، فعسى الله أن يرزقنا ماءً ببعض البلاد ، ارتحلوا ، فارتحلوا حتى إذا فرغوا ، ومَنْ معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون ، تقدّم عبد المطلب إلى راحلته فركبها ، فلما انبعث به ، انفجرت من تحت خُفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ، ثم نزل فشرب وشَرِب أصحابهُ واستقوا حتى ملئوا أسقيتهم ، ثم دعا القبائل من قريش ، **فقال** : هَلُمَّ إلى الماء ، فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا ، فجاءوا فشربوا واستقوا **ثم قالوا**: قد والله قُضِيَ لك علينا يا عبد المطلب ، والله لا نخاصمك فى زمزم أبداً ، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذى سقاك زمزم ، فارجع إلى سقايتك راشداً ، فرجع ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الكاهنة ، وخلُّوا بينه وبينها .

قال ابن إسحاق : فهذا الذى بلغنى من حديث على بن أبى طالب ﷺ فى زمزم ، وقد سمعتُ مَن يُحدّث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أُمر بحفر زمزم

ثم ادعُ بالماء الرِّوَى غيرِ الكَدرِ   **يسقى حجيج الله فى كلَ مَبرّ**

ليس يُخَافَ منه شئ ما عَمَرْ

فخرج عبد المطلب حيث قيل له ذلك إلى قريش **فقال** : تعلموا أنى قد أُمرت أن أحفر لكم زمزم ، **فقالوا** : فهل بُيِّن لك أين هى ؟ **قال** : لا ، **قالوا** : فارجع إلى مضجعك الذى رأيت فيه ما رأيت ، فإن يك حقاً من الله يُبيَّن لك، وإن يك من

الشيطان فلن يعود إليك ، فرجع عبد المطلب إلى مضجعه فنام فيه ، فأتى **فقيل له** : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لم تندم ، وهى تراث من أبيك الأعظم لا تنزف أبداً ولا تُذمّ ، تسقى الحجيج الأعظم ، مثلَ نَعام حافل لم يُقْسَم يَنْذِرَ فيها ناذرٌ لمُنْعم ، تكون ميراثاً وعقداً مُحكم ليست كبعض ما قد تعلم وهى بين الفرث والدم

قال ابن هشام : هذا الكلام والكلام الذى قبله ، من حديث على رضوان الله عليه فى حفر زمزم .

قال ابن إسحاق : فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحارث ، وليس له يومئذ ولدٌ غيره ، فوجد قرية النمل ، ووجد الغراب ينقرُ عندها بين الوثنيين: إساف ونائلة ، اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها ، فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أُمر ، فقامت إليه قريش حين رأوا جدّه ، **فقالوا** : والله لا نتركك تحفر بين وثَنينا هذين اللذين ننحر عندهما ، **فقال عبد المطلب لابنه الحارث** : ذُدْعنى حتى أحفر ، فو الله لأمضين لما أُمرت به ، فلما عرفوا أنه غير نازِع خلّوا بينه وبين الحفر ، وكفُّوا عنه ، فلم يحفر إلا يسيراً ، حتى بدا له الطىّ ، فكبّر وعرفوا أنه قد صدَق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب ، وهما الغزالان اللذان دفنت جُرْهم فيها حين خرجت من مكة ووجد فيها أسيافاً قَلعية وأدراعاً ، **فقالت له قريش** : يا عبد المطلب ، لنا معك فى هذا شِرك وحق ، **قال** : لا ، ولكن هلُمّ إلى أمرٍ نَصفٍ بينى بينكم : نضرب عليها بالقداح ، **قالوا** : وكيف نصنع ؟ **قال** :
أجعل للكعبة قِدْحين ، ولى قِدْحين ، ولكم قِدْحين فمن خرج له قِدْحاه على شئ كان له ، ومن تخلف قِدْحاه فلا شئ له ، **قالوا** : أنصفتَ ، فجعل قِدْحين أبيضين لقريش ، ثم أعطوا " القداح " صاحب القداح الذى يضرب بها عند هُبل " وهُبل

صنم فى جوف الكعبة وهو أعظم أصنامهم ، وهو الذى يَعْنى أبو سفيان بن حرب يوم أُحُد حين **قال** : أُعلِ هُبل : أى أظهر دينك " وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ، فضرب صاحبُ القداح فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة ، وخرج الأسودان على الأسياف، والأدراع لعبد المطلب ، وتخلَّف قِدْحا قريش ، فضرب عبد المطلب الأسياف بابا للكعبة وضرب فى الباب الغزالين من ذهب ، فكان أول ذهب حُلِّيته الكعبة ، فيما يزعمون، ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحجاج[١]

قال ابن إسحاق : فعفَّت[٢] زمزم على البئار التى كانت قبلها يَسقى عليها الحاج ، وانصرف الناسُ إليها لمكانها من المسجد الحرام ولفضلها على ما سواها من المياه ، ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلِّها ، وعلى سائر العرب ، فقال مُسافر بن أبى عمرو بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو يَفْخر على قريش بما ولوا عليهم من السقاية والرفادة وما أقاموا للناس من ذلك ،وبزمزم حين ظهرت لهم وإنما كان بنو عبد مناف أهلَ بيت واحد ، شرفُ بعضِهم لبعض شرف ، وفضلُ بعضهم لبعض فضلُ :

وَرِثْنَا المجدَ مِنْ آبائنا فنَمَى بِنَا صُعُدَاً

ألَمْ نَسْقِ الحجيجَ وننحَرُ الدَّلاَّفَةَ[١] الرِّفدَاً

ونُلْقى عنْدَ تَصريفِ المنايا شُدَّداً رُفُداً

فإن نَهْلِكْ فلم نُمْلَك وَمَنْ ذا خالدٌ أبداً

وزمزم فى أروُ مَتِنا[٢] ونفقأُ عَيْنَ مَنْ حسداً

---

(١) السيرة لابن هشام ١٤٧/١ . (٢) عفت على البئار : غطت عليها وأذهبتها .

هذا : وقد ثبت فى الصحيح – صحيح مسلم – أن رسول الله ﷺ **قال فى زمزم** : " إنها طعام طعم ، وشفاء سقم " ، **وفى مسند الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله قال** : قال رسول الله ﷺ : "ماء زمزم لما شُرب منه " ، **وقد روى الأموى فى مغازيه بسنده عن سعيد بن المسيب** يُحدث أن عبد المطلب بن هاشم حين احتفر زمزم **قال** : لا أحلها لمغتسل وهى لشارب حلّ وبلّ ، وذلك أنه جعل لها حوضين حوضاً للشرب ، وحوضاً للوضوء ، فعند ذلك **قال** : لا أحلها لمغتسل لينزه المسجد عن أن يغتسل فيه وكلمة "حلّ وبلّ" – كما نقول بلغتنا العامية " حلال بَلال " أى مباحة فليشرب وليهنأ لا مُحاسب ولا مُعاتب فيما صنع

هذا : وقد روى أن العباس بن عبد المطلب **قال**: لا أحلها لمغتسل وهى لشارب حل وبل ، **فمن القائل لذلك الكلام على الحقيقة ؟** الصحيح أن عبد المطلب هو القائل لذلك ، ثم عندما ولى العباس أمر السقاية نادى فى الناس بذلك أيضاً على سبيل الإعلام والتبليغ بما اشترطه عبد المطلب عند حفره لها فلا ينافى ما تقدم ، حيث إن السقاية كانت لعبد المطلب أيام حياته ثم صارت إلى ابنه أبى طالب مدة ، ثم اتُفق أنه أملق[٣] فى بعض السنين فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف إلى الموسم الآخر وصرفها أبو طالب فى الحجيج فى عامه فيما يتعلق بالسقاية ، فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبى طالب شئ فقال لأخيه العباس اسلفنى أربعة عشر ألفاً أيضاً إلى العام المقبل أعطيك جميع مالك ، **فقال له العباس** : بشرط إن لم تعطنى تترك السقاية أكفكها **فقال** : نعم ، فلما جاء العام

---

(١) يريد بها هنا الإبل التى تمشى متمهلة لكثرة سمنها ، والرفدا : التى تملأ القدح باللبن .

(٢) الأرومة : الأصل . (٣) وقع فى ضائقة مالية .

الآخر لم يكن مع أبى طالب ما يعطى العباس فترك له السقاية فصارت إليه ثم من بعده صارت إلى عبد الله ولده ، ثم إلى على بن عبد الله بن عباس ثم إلى داود بن على ثم إلى سليمان ابن على ثم إلى عيسى بن على ثم أخذها المنصور واستناب عليها مولاه أبا رزين[١] .

ذكر نذر عبد المطلب ذبح ولده وأسبابه

قال ابن إسحاق : وكان عبد المطلب بن هاشم - فيما يزعمون والله أعلم - قد نذر حين لقى من قريش ما لقى عند حَفْر زمزم لئن وُلد له عشرةُ نفر ، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينْحرنْ أحدَهم لله عند الكعبة ، فلما تَوَافَى بنوه عشرةً ، وعرف أنهم سيمنعونه ، جَمَعَهم ثم أخبر بنَذْره ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه **وقالوا** : كيف نصنع؟ **قال** : ليأخذ كلّ رجل منكم قِدْحاً ، ثم يكتب فيه اسمه، ثم ائتونى ، ففعلوا ثم أتوه ، فدخل بهم على " هُبل "[٢] فى جوف الكعبة ، وكان هُبل على بئر فى جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هى التى يُجمع فيها ما يُهدى للكعبة وكان عند " هُبل " قِداح سَبْعة ، كل قِدْح منها فيه كتاب ، قِدح فيه العقل[٣] إذا اختلفوا فى العَقْل من يَحْمِلهُ منهم ، ضربوا بالقداح السبعة فإن خرج العَقْل فعلى من خرج حَمْلُه ، وقِدْح فيه " نعم " للأمر إذا أرادوه يُضرب به فى القداح ، فإن خرج قِدْح " نعم " عملوا به ، وقِدْح فيه " لا " إذا أرادوا أمراً ضربوا به فى القِداح ، فإن خرج ذلك القِدْح لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقِدْح فيه " منكم " وقِدْح فيه " مُلصَق " وقِدح فيه " من غيركم " وقِدح فيه " المياه " إذا أرادوا أن يحفروا

---

(١) البداية والنهاية ، ٢٤٨/٢ . (٢) هبل صنم كانوا يعبدونه فى الجاهلية . (٣) أى الدية .

للماء ضربوا بالقداح ، وفيها ذلك القِداح فحيثما خرج عملوا به ، وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاماً ، أو يُنكحوا منكحاً ، أو يَدْفنوا ميتاً أو شكوا فى نسب أحدهم ، ذهبوا به إلى هُبل وبمئة درهم وجزور فأعطوها صاحب القداح الذى يَضْرب بها ، ثم قرّبوا صاحبَهم الذى يريدون به ما يريدون ، **ثم قالوا** : يا إلهنا هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرج الحقَّ فيه ، ثم يقولون لصاحب القداح : اضرب فإن خرج عليه " منكم " كان منهم وسيطاً[(١)] ، وإن خرج عليه " من غيركم " كان حليفاً ، وإن خرج عليه " مُلصق " كان على منزلته فيهم ، لا نسبَ له ولا حِلف ، وإن خرج فيه شئ مما سوى هذا مما يعلمون به " نعم " عملوا به ، وإن خرج " لا " أخروه عامة ذلك حتى يأتوه به مرّة أخرى ينتهون فى أمورهم إلى ذلك مما خرجتْ به القِداح (٢).

فقال عبد المطلب لصاحب القداح : اضربْ على بنىَّ هؤلاء بقداحهم هذه وأخبره بنذره الذى نذر ، فأعطاه كلُّ رجل منهم قِدْحه الذى فيه اسمه ، وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغر بنى أبيه، كان هو والزبير وأبو طالب لفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عيد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر . **قال ابن إسحاق** : وكان عبد الله - فيما يزعمون - أحبَّ ولد عبد المطلب إليه فكان عبد المطلب يرى أن السَّهْم إذا أخطأه فقد أشْوَى[(١)] - وهو أبو رسول الله ﷺ – فلما أخذ صاحبُ القِداح القداحَ ليضرب بها ، قام عبد المطلب عند هُبَل يدعوا الله ، ثم ضرب صاحبُ القِداح ، فخرج القدِح على عبد الله فأخذه

---

(١) أى خالص النسب فيهم ، ويقال : إن الوسيط هو الشريف فى قومه . (٢) يروى أنهم كانوا إذا قصدوا فعلاً ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها : " أمر ربى " وعلى الآخر " نهانى ربى " والثالث " غفل " فإن خرج الآمر مضوا على ذلك وإن خرج الناهى تجنبوا عنه وإن خرج الغفل " أعادوها ثانية.

عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ، ثم أقبل به إلى إساف ونائله ليذبحه ، **فقامت إليه** قريش من أنديتها، **فقالوا** : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ **فقال** : أذبحه ، **فقالت له** قريش وبنوه : والله لا تذبحه حتى تُعذَر فيه لئن فعلتَ هذا لا يزال الرجلُ يأتى بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ! وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم بن يقظة، وكان عبد الله ابن أخت القوم: والله لا تذبحه أبداً حتى تُعذر فيه ، فإن كان فِداؤه بأموالنا فديناه ، **وقالت له قريش وبنوه** : لا تفعل، وانطلق به إلى الحجاز فإن به عرّافة لها تابع فسلْها ، ثم أنت على رأس أمرك ، إن أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمرٍ لك وله فيه فرج قبِلْتَهُ فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوها – فيما يزعمون – بخيبر فركبوا حتى جاءوها فسألوها ، وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه ، وما أراد به ونذره فيه ، **فقالت لهم** : ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى فأسأله، فرجعوا من عندها، فلما خرجوا عنها، قام عبد المطلب يدعوا الله ،

ثم غدوْا عليها ، **فقالت لهم** : قد جاءنى الخبرُ ، كم الدية فيكم ؟ **قالوا** : عشر من الإبل ، وكانت كذلك ، **قالت** : فارجعوا إلى بلادكم ، ثم قرّبوا صاحبكم وقرّبوا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح ، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم ، وإن خرجتْ على الإبل فانحروها عنه ، فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم .فرجعوا حتى قدموا مكة ، لما أجمعوا على ذلك من الأمر ، قام عبد المطلب يدعوا الله ، ثم قربوا عبد الله واعشراً من الإبل ، وعبد المطلب قائمٌ عند هبل يدعو الله عز وجل ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله

---

(١) أشوى : أبقى ، يقال : أشويت من الطعام : إذا أبقيت .

، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل عشرين ، وقام عبد المطلب يدعوا الله عز وجل ، ثم ضربوا فخرج القِدح على عبد الله فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل ثلاثين ، وقام عبد المطلب يدعوا الله ، ثم ضربوا ، فخرج القِدح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل أربعين ، وّام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، فخرج القِدح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل خمسين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدح على عبد الله فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل ستين، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل سبعين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل ثمانين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل تسعين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل مئة ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل ، فقالت قريش ومن حضر : قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضربَ عليها ثلاث مرات ، فضربوا على عبد الله وعلى الإبل ، وقام عبد المطلب يدعوا الله ، فخرج القِداح على الإبل ، ثم عادوا الثانية ، وعبد المطلب قائم يدعو الله فضربوا ، فخرج القدح على الإبل ، ثم عادوا الثالثة ، وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا فخرج القدح على الإبل فنُحرت ، ثم تُركت لا يُصدّ عنها إنسان ولا يُمنع **قال ابن هشام : ويقال** : إنسان ولا سبع[1].

ولذا فقد روى عن معاوية أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله ﷺ ، وذلك أن جده إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، استجاب لأمر الله عندما طلب منه أباه أن يذبحه ثم افتداه الله بذبحٍ عظيم ، ثم ما كان وما مر من قريب فى شأن أبيه عبد الله ونذر عبد المطلب الذى مر من قريب ولذا فهو ابن الذبيحين .

---

(١) السيرة لابن هشام ، ١٥٤/١ .

٤- " عفة والد النبى عبد الله بن عبد المطلب وزواجه من السيدة آمنة بنت وهب "

قال ابن إسحاق : ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد عبد الله فمرّ به - فيما يزعمون - على امرأة من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى وهى أم قتال أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهى عند الكعبة فنظرت إلى وجهه **فقالت** : أين تذهب يا عبد الله ؟ **قال** : مع أبى ، **قالت** : لك مثل الإبل التى نحرت عنك " وقَعْ " علىّ الآن - تقصد أن يزنى بها - **قال** : أنا مع أبى ولا أستطيع خلافه ولا فراقه ، فخرج به عبد المطلب حتى أتى " وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر " وهو يومئذ سيد بنى زهرة سناً وشرفاً فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وهى يومئذ سيدة نساء قومها فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه فوقع عليها فحملت منه برسول الله ﷺ ثم خرج من عندها فأتى المرأة التى عرضت عليه ما عرضت **فقال لها** : ما لك لا تعرضين علىّ اليوم ما كنت عرضت بالأمس ؟ **قالت له** : فارقك النور الذى كان معك بالأمس فليس لى بك حاجة ، وكانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل - وكان قد تنصر واتبع الكتب - أنه كائن فى هذه الأمة نبى فطمعت أن يكون منها فجعله الله تعالى فى أشف عنصر وأكرم محتد وأطيب أصل كما قال تعالى " الله أعلم حيث يجعل رسالته " .

وقد ذكر أبو بكر الخرائطى بسنده عن إسماعيل **قال** : لما انطلق عبد المطلب بإبنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من أهل تبالة متهودة قد قرأت

الكتب ، يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرأت نور النبوة فى وجه عبد الله **فقالت** : يافتى هل لك أن تقع على الآن وأعطيك مائة من الإبل ؟ **فقال عبد الله** :

أما الحرام فالممات دونه والحل لا حلِ فأستبينه
فكيف بالأمر الذى تبغينه يحمى الكريمُ عرضه ودينه

ثم مضى مع أبيه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف فأقام عندها ثلاثاً ، ثم إن نفسه دعته إلى ما دعته إليه الكاهنة فأتاها **فقالت** : ما صنعت بعدى ؟ فأخبرها ، **فقالت** : والله ما أنا بصاحبة ريبه ولكنى رأيت فى وجهك نوراً فأردت أن يكون فىّ ، وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد .

٥- صفة حمله وميلاده ﷺ

تقدم أن عبد المطلب لما ذبح تلك الإبل المائة عن ولده عبد الله حين كان نذر ذبحه فسلمه الله تعالى لما كان قدر فى الأزل ظهور النبى الأمى ﷺ ، خاتم الرسل وسيد ولد آدم من صلبه ، فذهب فزوجه أشرف عقيلة فى قريش آمنة بنت وهب بن عبد مناف ، فحين دخل بها وأفضى إليها حملت برسول الله ﷺ ، وقد كانت أم قتال " رقيقة بنت نوفل " أخت ورقة بن نوفل توسمت ما كان بين عينى عبد الله قبل أن يجامع آمنة من النور ، فودت أن يكون ذلك متصلاً بها لما كانت تسمع من أخيها من البشارات بوجود محمد ﷺ وأنه قد أزفّ زمانه فعرضت نفسها عليه ، قال بعضهم ليتزوجها وهو أظهر والله أعلم ، فامتنع عليها فلما انتقل ذلك النور الباهر إلى آمنة بمواقعته أياها كأنه تندم على ما كانت عرضت عليه فتعرض لها لتعاوده ، فقالت لا حاجة لى فيك وتأسفت على ما فاتها من ذلك ، وهذه الصيانة لعبد الله ليست له وإنما هى لرسول الله ﷺ فإنه كما قال الله تعالى " الله أعلم حيث يجعل رسالته " ، وقد تقدم قوله ﷺ " ولدت من نكاح لا من سفاح "

والمقصود أن أمه حين حملت به توفى أبوه عبد الله وهو حمل فى بطن أمه على المشهور فقد روى ابن سعد بسنده إلى أيوب بن عبد الرحمن ابن أبى صعصعة **قال** : خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى غزة فى عير من عيران قريش يُحملونه تجارات ففرغوا من تجاراتهم ثم انصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله بن عبد المطلب يومئذ مريض ، فقال أتخلف عند أخوالى بنى عدى بن النجار فأقام عندهم مريضاً شهراً ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم عبد المطلب عن ابنه عبد الله فقالوا خلفناه عند أخواله بنى عدى بن النجار وهو مريض ، فبعث

إليه عبد المطلب أكبر ولده " الحارث " فوجده قد توفى ودفن فى دار النابغة فرجع إلى أبيه فأخبره ، فوجد عليه عبد المطلب وأخوته وإخوانه وجداً شديداً ، ورسول الله ﷺ يومئذ حمل ولعبد الله بن عبد المطلب يوم توفى خمس وعشرون سنة.

قال الواقدى : هذا هو أثبت الأقاويل فى وفاة عبد الله وسنّه عندنا[١] . وجميع ما تركه عبد الله بن عبد المطلب من تركة وميراث خمسة أجمال ، وقطعة غنم ، وجارية حبشية اسمها بركة وكنيتها أم أيمن ، وهى حاضنة رسول الله ﷺ[٢] .

قال ابن إسحاق : ويزعمون – فيما يتحدث الناس والله أعلم – أن آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ كانت تُحدث : أنها أُتِيَتْ حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها : إنك قد حملت بسيِّد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولى : أعيذه بالواحد ، من شر كلّ حاسد ، ثم سميه محمداً ، ورأت حين حملت به أنه خرج منها نورٌ رأتْ به قُصور بُصرى من أرض الشام ، ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله ﷺ أن هلك ، وأم رسول الله ﷺ حاملٌ به .

وروى الواقدى بسنده عن ابن عباس : أن آمنة بنت وهب قالت لقد علقتُ به – تعنى رسول الله ﷺ – فما وجدتُ له مشقة حتى وضعته ، فلما فصل منى خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب ، ثم وقع إلى الأرض معتمداً على يديه ، ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء ، **وقال بعضهم :** وقع جثياً على ركبتيه ، وخرج معه نور أضاء له

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ، ٢٦٢/٢ . (٢) الرحيق المختوم ، صـ٤٣ .

قصور الشام وأسواقها حتى رؤيت أعناق الإبل ببصرى ، رافعاً رأسه إلى السماء . **وروى البيهقى بسنده إلى عثمان بن أبى العاص** حدثتنى أمى أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله ﷺ ليلة ولدته ، قالت فما شئ أنظره فى البيت إلا نور وإنى أنظر إلى النجوم تدنوا حتى إنى لأقول ليقعنَّ علىّ ، واستهل فسمعت قائلاً يقول : يرحمك الله ، وإنه سطع منه نور رؤيت منه قصور الروم .

قال ابن إسحاق : فلما وضعته أمه - ﷺ - أرسلت إلى جده عبد المطلب : أنه قد وُلد لك غلام ، فأتِه فانظر إليه فأتاه فنظر إليه ، وحدَّثته بما رأت حين حَمَلتْ به وما قيل لها فيه ، وما أُمرتْ به أن تُسمِّيه ، فأخذه عبد المطلب فدخل به الكعبة ، فقام يدعوا الله ، ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها **روى البيهقى بسنده إلى العباس بن عبد المطلب** ؓ **قال** : ولد رسول الله ﷺ مختوناً مسروراً ، قال فأعجب جده عبد المطلب وحظى عنده وقال : ليكونن لابنى هذا شأن فكان له شأن ، **وقد روى الحافظ ابن عساكر بسنده إلى أنس بن مالك قال : قال رسول الله** ﷺ : " من كرامتى على الله أنى ولدتُ مختوناً ولم ير سوأتى أحد " ، ثم أورده من طريق أخرى عن ابن عمر قال : ولد رسول الله ﷺ " مسروراً مختوناً " ومعنى مختوناً أى مقطوع الختان ، ومسروراً أى مقطوع السرة من بطن أمه .

وروى البيهقى بسنده قال : كان المولود إذا ولد فى قريش دفعوه إلى نسوة من قريش إلى الصبح يكفأن عليه بِرْمةً ، فلما ولد رسول الله ﷺ دفعه عبد المطلب إلى نسوة فكفأن عليه برمة ، فلما أصبحن أتين فوجدن البرمة قد انفلقت عنه اثنتين ووجدنه مفتوح العينين شاخصاً ببصره إلى السماء فأتاهن عبد المطلب

فقلن له ما رأينا مولوداً مثله ، وجدناه قد انفلقت عنه البرمة ، ووجدناه مفتوحاً عينيه شاخصاً ببصره إلى السماء ، **فقال** : احفظنه فإنى أرجو أن يكون له شأن ، أو أن يصيب خيراً ، فلما كان اليوم السابع ذبح عنه ودعا لهَ قريشاً فلما أكلوا **قالوا** : يا عبد المطلب أرأيت ابنك هذا الذى أكرمتنا على وجهه ما سميته ؟ **قال** : سميته محمداً ، **قالوا** : فما رغبت به عن أسماء أهل بيته ؟ **قال** : أردتُ أن يحمده الله فى السماء وخلقه فى الأرض .

قال أهل اللغة : كل جامع لصفات الخير يسمى محمداً ، **كما قال الشاعر** :

إليك – أبيت اللعن – أعملتُ ناقتى   إلى الماجدِ القرم الكريم المحمَّدِ

وقال بعض العلماء : ألهمهم الله عز وجل أن سموه محمداً لما فيه من الصفات الحميدة ليلتقى الاسم والفعل ، ويتطابق الاسم والمسمى فى الصورة والمعنى كما قال عمه أبو طالب ، ويروى أنه لحسان بن ثابت :

وشــقَ لـــه من اسمهِ ليُجلَّهُ   فذو العرش محمود وهذا محمد[1]

---

(١) البداية والنهاية ، ٢/٢٦٥ .

٦- " ولادة رسول الله ﷺ وتاريخه "

ولد صلوات الله عليه وسلامه يوم الاثنين ، لما رواه مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى قتادة أن أعرابياً قال : يا رسول الله ، ما تقول فى صوم يوم الاثنين **فقال** : " ذاك يوم ولدت فيه وأنزل على فيه " ، **وروى الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس قال** : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين ، واستنبئ يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين وتوفى يوم الاثنين ، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين . **وعن ابن عباس قال** : " ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين وتوفى يوم الاثنين " ، وهذا مالا خلاف فيه ثم إن جمهور المسلمين على أن الميلاد كان فى شهر ربيع الأول فقيل لليلتين خلتا منه ، **قاله ابن عبد البر فى الاستيعاب** ، **وقيل** : لثمان خلون منه ، **وقيل** : لعشر خلون منه[1] . **وقال ابن إسحاق** : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين ، لا ثنتى عشرة ليلةً خلتْ من شهر ربيع الأول عام الفيل .

وقد ذُكرت آراء غير ذلك ولكن المشهورمامر ، فقد روى عن جابر وابن عباس أنهما قالا : " ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول ، وفيه بعث وفيه عرج به إلى السماء وفيه هاجر وفيه مات " ، **وهذا هو المشهور عند الجمهور . وقال إبراهيم بن المنذر الحزامى** : وهو الذى لا يشك فيه أحد من علمائنا أنه عليه الصلاة والسلام ولد عام الفيل ، وبُعث على رأس الأربعين سنة من الفيل .

---

(١) البداية والنهاية ، ٢/٢٦٠ .

٧- الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم

قال ابن إسحاق : وكان هشام بن عروة يحدثُ عن أبيه عن عائشة **قالت** : كان يهودى قد سكن مكة يتجر بها فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله ﷺ قال فى مجلس من قريش : يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ فقال القوم والله ما نعلمه فقال : الله أكبر ، أما إذا أخطأكم فلا بأس انظروا واحفظوا ما أقول لكم : ولد هذه الليلة نبى هذه الأمة الأخيرة ،بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس ، لا يرضع ليلتين وذلك أن عفريتا من الجن أدخل أصبعه فى فمه فمنعه الرضاع فتصدع القوم من مجلسهم وهم يتعجبون من قوله وحديثه فلما صاروا إلى منازلهم أخبر كل إنسان منهم أهله فقالوا :قد والله ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمداً فالتقى القوم فقالوا :هل سمعتم حديث اليهودى وهل بلغكم مولد هذا الغلام ؟ فانطلقوا حتى جاءوا اليهودى فأخبروه الخبر، قال فاذهبوا معى حتى أنظر إليه ، فخرجوا به حتى أدخلوه على آمنة فقالوا: اخرجى ابنك فأخرجته وكشفوا له عن ظهره ، فرأى تلك الشامة ، فوقع مغشياً عليه ، فلما أفاق قالوا له مالك ويلك ؟ **قال** : قد ذهبت والله النبوة من بنى إسرائيل ، فرحتم بها يا معشر قريش ، والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب[١] .

وقد روى ابن إسحاق بسنده إلى يحيى بن عبد الرحمن بن أسعد ابن زرارة قال : حدثنى من شئت من رجال قومى ممن لا أتهم عن حسان بن

---

(١) السيرة النبوية ، ١/ ١٥٦-١٥٧ .

ثابت **قال** : **إنى لغلام يفعة** ابن سبع سنين ، **أو ثمان سنين أعقل ما رأيت وسمعت إذا بيهودى فى يثرب يصرخ ذات غداة يا معشر يهود فاجتمعوا إليه – وأنا أسمع** – فقالوا ويالك مالك ؟ **قال** : قد طلع نجم أحمد الذى يولد به فى هذه الليلة .

قال ابن إسحاق : فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : ابنُ كمْ كان حسّان بن ثابت مَقدَمَ رسول الله ﷺ المدينة ؟ **فقال** : ابن ستّين سنة ، وقدمها رسول الله ﷺ ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنةً ، فسمع حسَّانُ ما سَمِع وهو ابن سبع سنين .

وروى الحافظ أبو نعيم فى كتاب دلائل النبوة بسنده عن أبى مالك بن سفيان قال : جئت بنى عبد الأشهل يوماً لأ تحدث فيهم ونحن يومئذٍ فى هدنة من الحرب ، فسمعتُ يوشع اليهودى **يقول** : أظل خروج نبى يقال له أحمد يخرج من الحرم ، **فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهلى** – كالمستهزئ به ما صفته – ؟ **فقال** : رجل ليس بالقصير ولا بالطويل فى عينيه حمرة يلبس الشملة ويركب الحمار ، سيفه على عاتقه وهذا البلد مهاجرة ، **قال** : فرجعتُ إلى قومى بنى خدرة وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع فأسمع رجلاً منا **يقول** : ويوشع يقول هذا وحده ؟ كل يهود يثرب يقولون هذا ! قال أبى مالك بن سنان فخرجت حتى جئت بنى قريظة فأجد جمعاً فتذاكروا النبى ﷺ **فقال الزبير بن باطا** : قد طلع الكوكب الأحمر الذى لم يطلع إلا لخروج نبى أو ظهروه ولم يبق أحد إلا أحمد وهذا مهاجره ، **قال أبو سعيد** فلما قدم النبى ﷺ أخبره أبى هذا الخبر فقال رسول الله ﷺ : " لو أسلم الزبير لأسلم ذووه من رؤساء اليهود إنما هم له تبع " .

وروى أبو نعيم بسنده إلى زيد بن ثابت قال : كان أحبار يهود بنى قريظة والنضير يذكرون صفة النبى ﷺ فلما طلع الكوكب الأحمر أخبروا أنه نبى وأنه لا نبى بعده واسمه أحمد ومهاجر إلى يثرب فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنكروا وحسدوا وكفروا[١] .

(١) البداية والنهاية ، ٢/٢٦٨ .

٨- حواضنه ومراضعه ﷺ قبل حليمة السعدية

أول حواضنه ومراضعه هى أمه آمنة الخير والسرور والسعادة المصدقة بولدها ، والرائية المرائى له وهو حمل فى بطنها، والرائية لنوره عند الولادة - رحمة الله عليك فى العالمين يأم سيد المرسلين - ثم كانت أم أيمن واسمها بركة تحضنه ، وكان قد ورثها عليه الصلاة والسلام من أبيه فلما كبر اعتقها وزوجها مولاه زيد بن حارثة ، فولدت له أسامة بن زيد رضى الله عنهم ، وأرضعته مع أمه — عليه الصلاة والسلام — مولاة عمه أبى لهب ثويبة قبل حليمة .

٩- رضاعته ﷺ من حليمة السعدية وحادثة شق صدره

قال ابن إسحاق : فاسترضع له عليه الصلاة والسلام من حليمة بنت أبى ذؤيب واسمه : عبد الله بن الحارث من هوازن ، قال واسم أبى رسول الله ﷺ الذى أرضعه ، يعنى زوج حليمة الحارث بن عبد العزى بن رفاعه من هوازن وإخوته ﷺ من الرضاع : عبد الله بن الحارث وأنيسة بنت الحارث وحذافة بنت الحارث وهى الشيماء ، وذكروا أنها كانت تحضن رسول الله ﷺ مع أمه إذ كان عندهم . **فعن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب قال :** حدثت عن حليمة بنت الحارث أنها قالت : قدمت مكة فى نسوة - ذكر الواقدى بإسناده أنهن كن عشرة نسوة - من بنى سعد نلتمس بها الرضعاء فى سنة " شهباء "[١] فقدمت على " أتان "[٢] لى قمراء كانت أذمت[٣] بالركب ومعى صبى لنا وشارف[٤] لنا والله ما تبض

---

(١) أى سنة قاسية قليلة الرزق . (٢) الأتان : الحمارة . (٣) أذمت : اى أحرجتهم وجلستهم لضعفاها وعدم سرعتها .
(٤) الشارف : الناقة المُسنة .

بقطرة ، وما ننام ليلتنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك ما نجد فى ثدى ما يغنيه ولا فى شارفنا ما يغذيه ، ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج ، فخرجت على أتانى تلك فلقد أذمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفاً ، فقدمنا مكة فوالله ما علِمْتُ منا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه إذا قيل إنه يتيم تركناه قلنا ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه ؟ إنما نرجوا المعروف من أبى الولد فأما أمه فماذا عسى أن تصنع إلينا؟ فوالله ما بقى من صواحبى امرأة إلا أخذت رضيعاً غيرى ، فلما لم نجد غيره وأجمعنا الانطلاق قلت لزوجي الحارث بن عبد العزى والله إنى لأكره أن أرجع من بينى صواحبى ليس معى رضيع، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه، فقال : لا عليك أن تفعلى فعسى أن يجعل الله لنا فيه بركة ، فذهبت فأخذته فوالله ما أخذته إلا أنى لم أجد غيره ، فما هو إلا أن أخذته فجئت به رحلى فأقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن فشرب حتى روى ،ـ شبع من اللبن ـ وشرب أخوه حتى روى ، وقام صاحبى إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل ، فحلب ما شرب وشربت حتى روينا ، فبتنا بخير ليلة ، فقال صاحبى حين أصبحنا: يا حليمة والله إنى لأراك قد أخذت نسمة مباركة ، ألم ترى ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه ، فلم يزل الله عز وجل يزيدنا خيراً ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا فوالله لقطعت أتانى بالركب ما يتعلق بها حمار حتى إن صواحبى ليقلن ويلك يا بنت أبى ذؤيب هذه أتانك التى خرجت عليها معنا ؟ **فأقول** : نعم والله إنها لهى فقلن : والله إن لها لشأناً ! حتى قدمنا أرض بنى سعد ، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها فإن كانت غنمى لتسرح ثم تروح شباعاً لبناً فتحلب ما شئنا وما حوالينا أو حولنا أحد تبض له شاة بقطرة لبن وإن أغنامهم لتروح جياعاً حتى إنهم

ليقولون لرعاتهم — أو لرعيانهم — : ويحكم انظروا حيث تسرح غنم بنت أبى ذؤيب فاسرحوا معهم ، فيسرحون مع غنمى حيث تسرح فتروح أغنامهم جياعاً ما فيها قطرة لبن وتروح أغنامى شباعاً لبناً نحلب ما شئنا ، فلم يزل الله يرينا البركة نتعرفها حتى بلغ سنتين فكان يشب شاباً لا تشبّه الغلمان ، فوالله ما بلغ السنتين حتى كان غلاماً جفراً[١] فقدمنا به على أمه ، ونحن أضن شئ به مما رأينا فيه من البركة، فلما رأته أمه قلت لها : دعينا نرجع بابننا هذه السنة الأخرى فإنا نخشى عليه وباء مكة ، فوالله ما زلنا بها حتى قالت نعم فسرحته معنا فأقمنا به شهرين أو ثلاثة فبينما هو خلف بيوتنا مع أخ له من الرضاعة فى "بَهْم"[٢] لنا جاء أخوه ذلك يشتد فقال ذاك أخى القرشى جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقا بطنه ، فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائماً منتقعاً لونه، فاعتنقه أبوه **وقال:** يا بنى ما شأنك؟

قال: جاءنى رجلان عليهما ثياب أبيض أضجعانى وشقا بطنى ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا **فقال أبوه:** يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابنى قد أصيب فانطلقى بنا نرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف.

قالت حليمة : فاحتملناه فلم تُرع أمه إلا به ، فقدمنا به عليها **فقالت:**

ما ردكما به يا ظئر[١] فقد كنتما عليه حريصين ؟

فقالا : لا والله إلا أن الله قد أدى عنا وقضينا الذى علينا وقلنا نخشى الإتلاف والإحداث نرده إلى أهله ، **فقالت :** ما ذاك بكما فاصدقانى شأنكما ؟ فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره **فقالت :** أخشيتما عليه الشيطان ، كلا والله ما للشيطان

---

(١) استجفر الصبى : إذا قوى على الأكل . (٢) بَهْم : جمع بهيمة .

عليه من سبيل ، والله إنه لكائن لا بنى هذا الشأن ، ألا أخبركما خبره؟ **قلنا** : بلى ، **قالت** : حملت به فما حملت حملاً قط أخف منه ، فأُريت فى النوم حين حملتُ به كأنه خرج منى نور أضاءت له قصور الشام ، ثم وقع حين ولدته وقوعاً ما يقعه مولود ، معتمداً على يديه رافعاً رأسه إلى السماء ، فدعاه عنكما ، وهذا الحديث قد روى من طرق أخر وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازى .

وروى الواقدى بسنده إلى ابن عباس قال : خرجت حليمة تطلب النبى ﷺ – وهو طفل طبعاً – وقد وجدت البَهم تُقيل فوجدته مع أخته **فقالت** : فى هذا الحر ؟ – أى تؤنب أخته من حمله فى الحر وتنكر عليها هذا التصرف – **فقالت أخته** : يا أمه ما وجد أخى حراً ، رأيت غمامة تظل عليهِ إذا وقف وقفت وإذا سار سارت حتى انتهى إلى هذا الموضع(٢) .

قال ابن إسحاق : وحدثنى ثور بن زيد عن بعض أهل العلم ، ولا أحسب إلا عن خالد بن معدان الكلاعى : أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ **قالوا له** : يا رسول الله أخبرنا عن نفسك ؟ **قال** : نعم ، أنا دعوة أبى إبراهيم ، وبشرى أخى عيسى ، ورأتْ أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاء لها قُصورَ الشام ، واستُرضعتُ فى بنى سعد بن بكر فبينا أنا مع أخٍ لى خلف بيُوتنا نرعى " بَهْماً " لنا ، إذ أتانى رجلان عليهما ثيابٌ بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجاً ، ثم أخذانى فشقّا بطنى ، واستخرجا قلْبى فشقّاه ، فاستخرجا منه علقة سوداء

---

(١) الظئر : العاطفة على ولد غيرها المرضعة له . (٢) البداية والنهاية ، ٢٧٥/٢ .

فطرحاها ، ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى أنقياه ، **ثم قال أحدهما لصاحبه** : زِنْه بعشرة من أُمته ، فوزننى بهم فوزنتُهم ، **ثم قال** : زِنْه بمئة من أمته ، فوزننى بهم فوزنتُهم ، **ثم قال** : زنه بألف من أمته ، فوزننى بهم فوزنتُهم ، **فقال** : دعه عنك فوالله لو وزنته بأمته لوزنها[١] . **قال ابن كثير** : وهذا إسناد جيد وقوى[٢] .

وقد روى أبو نعيم فى الدلائل بسنده عن عتبة بن عبد الله أنه حدثه أن رجلاً سأل النبى ﷺ **فقال** : كيف كان أول شأنك يا رسول الله ؟ **قال** : كانت حاضنتى من بنى سعد بن بكر فانطلقت أنا وابن لها فى " بَهْم " لنا ولم نأخذ معنا زاداً ، **فقلت** : يا أخى اذهب فائتنا بزاد من عند أُمنا فانطلق أخى ومكثتُ عند " البهم " فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران ، **فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ فقال** : نعم ، فأقبلا يبتدرانى فأخذانى فبطحانى للقفا فشقا بطنى ثم استخرجا قلبى فشقاه ، فاخرجا منه علقتين سوداوين ، **فقال أحدهما لصاحبه : ائتنى بماء ثلج** فغسلا به جوفى ، **ثم قال** : ائتنى بماء برد فغسلا به قلبى ، **ثم قال** : ائتنى بالسكينة فَذَرّها فى قلبى ، **ثم قال أحدهما لصاحبه:** خطه فخاطه وختم على قلبى بخاتم النبوة ، **فقال أحدهما لصاحبه:** اجعله فى كفه واجعل ألفاً من أمته فى كفه ، فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقى اشفق أن يخر على بعضهم ، **فقال** : لو أن أمته وزنت به لمال بهم ثم انطلقا فتركانى ، وفرقت ـــ خفت ـــُ فرقاً شديداً ، ثم انطلقت إلى أمى فأخبرتها بالذى لقيت فأشفقت أن يكون قد لبس بى ، **فقالت** :

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، ١/١٦٦ ، ١٦٧ .(٢) البداية والنهاية ، ٢/٢٧٥ .

أعيذك بالله ، فرحّلت بعيراً لها وحملتنى على الرحل وركبت خلفى حتى بلغنا إلى أمى **فقالت** : أديت أمانتى وذمتى وحدثتها بالذى لقيت فلم يرعها ، **وقالت** : إنى رأيت خرج منى نور أضاءت منه قصور الشام .

وقد رواه ابن عساكر من طريق أبى داود الطيالسى بسنده إلى عروة بن الزبير يحدث عن أبى ذر الغفارى **قال** : **قلت** : يا رسول الله كيف علمت أنك نبى حين علمت ذلك واستيقنت أنك بنى ؟ **قال** : يا أبا ذر أتانى ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة فوقع أحدهما على الأرض ، وكان الآخر بين السماء والأرض ، **فقال أحدهما لصاحبه** : هو هو ؟ **قال** : هو هو ، **قال** : زنه برجل ، فوزننى برجل فرجحته ، وذكر تمامه ، وذكر شق صدره وخياطته ، وجعل الخاتم بين كتفيه ، قال : " فما هو إلا أن ولّيا عنى فكأنما أعاين الأمر معاينة " .

وثبت فى صحيح مسلم عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن صدره فاستخرج القلب ، واستخرج منه علقة سوداء ، فقال هذا حظ الشيطان ، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده فى مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه – يعنى ظئره – فقالوا إن محمداً قد قُتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون ، **قال أنس** : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره[١].

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه : " أنا أعربُكم، أنا قرشى ، واستُرضِعْت فى بنى سعد بن بكر " ، **وذكر ابن إسحاق** : أن حليمة لما أرجعته إلى أمه بعد فطامه مرت به على ركب من النصارى فقاموا إليه عليه الصلاة والسلام فقلبوه ، **وقالوا** : إنا سنذهب بهذا الغلام إلى ملكنا فإنه كائن له

شأن فلم تكد تنفلت منهم إلا بعد جهد ، وذكر أنها لما ردته حين تخوفت عليه أن يكون أصابه عارض ، فلما قربت من مكة افتقدته فلم تجده فجاءت جده عبد المطلب فخرج هو وجماعة فى طلبه ، فوجده ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش فأتيا به جده ، فأخذه على عاتقه وذهب فطاف به يعوذه ويدعو له ثم رده إلى آمنة[٢][٣] .

والمقصود : أن بركته عليه الصلاة والسلام حلت على حليمة السعدية وأهلها وهو صغير ثم عادت على هوازن بكمالهم فواضله حين أسرهم بعد وقعتهم ، وذلك بعد فتح مكة بشهر فمنوا إليه برضاعة فاعتقهم وتحنن عليهم وأحسن إليهم

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده **قال** : كنا مع رسول الله ﷺ بحنين فلما أصاب من أموالهم وسباياهم أدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا ، **فقالوا** : يا رسول الله إنا أهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامنن علينا منَّ الله عليك وقام خطيبهم زهير بن صرد **فقال** : يا رسول الله إن ما فى الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك فلو أنا ملحنا[١] ابن أبى شمر ، أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منهما مثل الذى أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما وأنت خير المكفولين ، **ثم أنشد** :

أُمنن علينا رسولَ الله فى كرم ... فإنك المرءُ نرجوه وندّخرُ
امننْ على بيضةٍ قد عاقها قدر ... ممزَّقٌ شَمْلُها فى دهرها غِيَرُ
أبقت لنا الدهرَ هتّافاً على حزن ... على قلوبهم الغمَّاءُ والغمرُ
إن لم تَداركها نعماءُ تنشرُها ... يأرجحَ الناسِ حلماً حين يُختبر

(١) البداية والنهاية ، ٢/٢٧٧ . (٢) السيرة لابن هشام ، ١/١٦٧ . (٣) البداية لابن كثير ، ٢/٢٧٧ .

امنن على نسوةٍ قد كنتَ تَرْضَعها   وإذ يزينُك ما تأتى وما تذرُ
لا تجعلَنَّا كمن شالت نعامتُه   واستبقِ منّا فإنا معشر زُهرَ
إنا لنشكر للنّعمى وإن كفرت   وعندنا بعد هذا اليومِ مدَّخرُ

وقد روى ذلك بطريقٍ أخرى قال فقال رسول الله ﷺ : " أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لله ولكم " ، **فقالت الأنصار** : وما كان لنا فهو لله ولرسوله ﷺ وسيأتى أنه عليه الصلاة والسلام أطلق لهم الذرية وكانت ستة آلاف ما بين صبى وامرأة وأعطاهم أنعاماً وأناسى كثيراً ، حتى قال أبو الحسين بن فارس فكان قيمة ما أطلق لهم يومئذ خمسمائة ألف ألف ردهم ، فهذا كله من بركته العاجلة فى الدنيا ، فكيف ببركته على من اتبعه فى الدارِ الآخرة[٢] .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام . (٢) السيرة النبوية لابن هشام .

١٠ – وفاة أمه وكفالة جده

فكان رسول الله ﷺ مع أُمه آمنة بنت وَهب وجدّه عبد المطلب بن هاشم فى كلاءة الله وحِفْظِه ينبتُه الله نباتاً حسناً لما يريد به من كرامته، فلما بلغ رسول الله ﷺ ستّ سنين، توفيت أُمُّه آمنة بنت وَهب.

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم : أن أُمّ رسول الله ﷺ آمنة تُوفِّيت ورسولُ الله ﷺ ابن ستٍّ سنين بالأبواء بين مكة والمدينة ، كانت قد قدمت به على أخواله من بنى عدى ابن النجار ، تُزيره إيّاهم ، فماتت وهى راجعة به إلى مكة[1] .

وذكر الواقدى بأسانيده أن النبى ﷺ : خرجت به أمه إلى المدينة ومعها أم أيمن وله ست سنين ، فزارت أخواله ، **قالت أم أيمن** : فجاءنى ذات يوم رجلان من يهود المدينة فقالا لى أخرجى إلينا أحمد ننظر إليه وقلّباه **فقال أحدهما لصاحبه** : هذا نبى هذه الأمة وهذه دار هجرته ، وسيكون بها من القتل أمر عظيم ، فلما سمعت أمه خافت وانصرفت به ، فماتت بالأبواء وهى راجعة .

ومن المعلوم أن سبب خؤولة بنى عدى بن النجار لرسول الله ﷺ أن أم عبد المطلب بن هاشم : سلْمى بنت عمرو النجارية فهذه الخؤولة التى ذكرها ابن إسحاق لرسول الله ﷺ فيهم .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، ١٦٨/١ .

١١- إكرام عبد المطلب لرسول الله ﷺ وهو طفل

فكان رسول الله ﷺ مع جدّه عبد المطلب بن هاشم، كان يُوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتَى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحدٌ من بنيه إجلالاً له **قال** : فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جَفْر حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، **فيقول عبد المطلب** : إذا رأى ذلك منهم : دَعُوا ابني ، فوالله إن له لشأناً ، ثم يُجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع[١] .

يقول د/ هيكل : وكفل عبد المطلب حفيده ، وأغدق عليه ، كل حُبِّه وأسبغ عليه جمَّ رعايته ، كان يوضع لهذا الشيخ ، سيد قريش وسيد مكة كلها ، فراش في ظل الكعبة فكان بنوه يجلسون حول ذلك الفراشَ إجلالاً لأبيهم ، فإذا جاء محمد أدناه عبد المطلب منه وأجلسه على الفراش معه وربت على ظهره ، وأبدى من آيات عطفه ما يمنع أعمام محمد من تأخيره إلى حيث يجلسون . **وزاد في إعزاز الجدِّ لحفيده** أن آمنة خرجت بابنها إلى المدينة لتُرى الغلام فيها أخوال جدّه من بني النجار ، وأخذت معها أمَّ أيمن الجارية التي خلّفها عبد الله من بعده ، فلما كانوا بها أرَتِ الغلامَ البيتَ الذي مات أبوه فيه والمكان الذي دُفن به ، فكان ذلك أول معنىً لليتيم انطبع في نفس الصبي ، ولعل أمه حدثته طويلاً عن هذا الأب المحبوب الذي غادرها بعد مُقامه معها أياماً معدودة ليجيئه بين أخواله أجلُه، فقد كان النبي بعد هجرته إلى المدينة يقصّ على أصحابه حديث تلك الرحلة الأولى

---

(١) السيرة لابن هشام ، ١٦٨/١ .

إلى المدينة مع أمه حديث محبّ للمدينة محزون لمن تحوى القبورُ من أهله بها ، ولما تمَّ مكثهم بيثرب شهراً اعتزمت آمنة العودة ، فركبت وركب من معها بعيريهما اللذين حملاهما من مكة ، فلما كانوا فى أثناء الطريق بين البلدين مرضت آمنة بالأبواء[١][٢] ، وماتت ودُفنت بها ، وعادت أم أيمن بالطفل إلى مكة منتحباً وحيداً ، يشعر بيتم ضاعفه عليه القدر فيزداد وحشة وألماً ، لقد كان منذ أيام يسمعه من أمه أنّات الألم لفقد أبيه وهو ما يزال جنيناً ، وها هو ذا قد رأى بعينيه أُمه تذهب كما ذهب أبوه وتدع جسمه الصغير يحمل همَّ اليتم كاملاً .

زاد ذلك فى إعزاز عبد المطلب إيّاه مع ذلك بقيت ذكرى اليتم أليمة عميقة فى نفسه ، حتى وردت فى القرآن إذ يُذكر الله نبيه بالنعمة عليه فيقول : (ألم يجدك يتيماً فآوى ، ووجدك ضالاً فهدى)[٣] ، ولعل جوى هذه الذكرى كان يَخِفُّ بعض الشئ لو أن عبد المطلب عُمِّر أكثر مما عُمِّر ، لكنه مات فى الثمانين من عمره ومحمد ما يزال فى الثامنة ، وحزن محمد لموت جدّه حزنه لموت ، حزن حتى كان دائم البكاء وهو يتبع نعشه إلى مقرّه الأخير ، وحتى كان دائم الذكر من بعد ذلك له ، مع ما لقى من بعدُ فى كفالة عمه أبى طالب من عناية ورعاية ، ومن حماية امتدَّت إلى ما بعد بعثه ورسالته[٤] .

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله ﷺ ثمانى سنين هلك عبد المطلب بن هاشم ، وذلك بعد الفيل بثمانى سنين ، فكان رسولُ الله ﷺ بعد عبد المطّلب مع عمه أبى طالب ، وكان عبد المطلب – فيما يزعمون – يُوصى به عمَّه أبا طالب

---

(١) الأبواء : قرية بين المدينة والجحفة بينها وبين المدينة ثلاث وعشرون ميلاً .

(٢) حياة محمد ، صـــ ١٣٠ . (٣) سورة الضحى ، آيتا ٦ ، ٧ . (٤) حياة محمد ، صـــ ١٣١ .

وذلك لأن عبد الله أبا رسول الله ﷺ وأبا طالب أخوان لأب وأم ، أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم[١] .

١٣- كفالة أبى طالب للرسول ﷺ

روى **الواقدى بسنده إلى** مجاهد ، وإلى ابن عباس ، وإبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة — دخل حديث بعضهم فى حديث بعض **قالوا** : لما توفى عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله ﷺ إليه فكان يكون معه ، وكان أبو طالب لا مال له، وكان يُحبّه حُباً شديداً لا يحبّه ولده، وكان لا ينام إلا إلى جنبه ، ويخرج فيخرج معه ، وصبّ به أبو طالب صبابة لم يَصَبّ مثلها بشئ قط وكان يَخصه بالطعام ، وكان إذا أكل عيال أبى طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا ، وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا ، فكان إذا أراد أن يُغذّيهم **قال** : كما أنتم حتى يحضر ابنى ، فيأتى رسول الله ﷺ فيأكل معهم فكانوا يفضلون من طعامهم ، وإن لم يكن معهم لم يشبعوا **فيقول أبو طالب** : إنك لمبارك ! وكان الصبيان يصبحون رمُصاً شُعثاً ، ويُصبح رسول الله ﷺ دَهينا كحيلاً .

وروى **بسنده إلى** ابن القبطيّة **قال** : كان أبو طالب توضع له وسادة بالبطحاء مثنيةً يتكئُ عليها ، فجاء النبى ﷺ فبسطها ثم استلقى عليها **قال** : فجاء أبو طالب فأراد أن يتكئ عليها فسأل عنها **فقالوا** : أخذها ابن أخيك ، **فقال** : وحلّ البطحاء إن ابن أخى هذا ليُحسِن بنعيم[١] .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، ١٧٩/١ .

وروى الحسن بن عرفة بسنده إلى ابن عباس قال : كان بنو أبى طالب يصبحون رمصاً عمصاً ويصبح رسول الله ﷺ صقيلاً دهيناً ، وكان أبو طالب يقرب إلى الصبيان صفحتهم أول البُكرة – الصباح – فيجلسون وينتهبون – أى الطعام – ويكف رسول ﷺ يده فلا ينتهب معهم ، فلما رأى ذلك عمه عزل له طعامه على حده[١] .

ويخبر عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه : أن رجلاً من لِهْب : من أزد شنَوُءة كان عائفاً[٢] فكان إذا قَدِمَ مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويعتاف لهم فيهم ، **قال :** فأتى به أبو طالب وهو غلام مع من يأتيه ، فنظر إلى رسول الله ﷺ ، ثم شغله عنه شئ فلما فرغ **قال :** الغلام علىّ به ، فلما رأى أبو طالب حرْصه غيَّبَهُ عنه ، **فجعل يقول:** ويلكم ، رُدّوا علىّ الغلام الذى رأيت آنفاً ، فوالله ليكونن له شأن ، **قال :** فانطلق أبو طالب[٣] ، وشب رسول الله ﷺ مع أبى طالب يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أمور الجاهليه ومعايبها ، لما يريد به من كرامته ، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم مخالطة وأحسنهم جِواراً ، وأعظمهم حلماً وأمانة ، وأصدقهم حديثاً وأبعدهم من الفحش والأذى ، وما رُئى مُلاحياً ولا مُمارياً أحداً ، حتى سماه قومه الأمين ، لما جمع الله له من الأمور الصالحة فيه ، فلقد كان الغالب عليه بمكة الأمين ، وكان أبو طالب يحفظه ويحوطه ويعضده وينصره إلى أن مات .

---

(١) البداية والنهاية ٢/ ٢٨٣ . (٣) الطبقات الكبرى ، ١/٩٧ . (١) الطبقات الكبر لابن سعد ، ١/٩٦ .

(٢) العائف : الذى يتفرص فى خلقة الإنسان فيخبر بما يؤول حاله إليه .

١٣-" رحلته إلى الشام مع عمه وقصته مع بحيرى الراهب "

ثم إن أبا طالب خرج فى ركب تاجراً إلى الشام فلما تهيّأ للرحيل ، وأجمع المسير صَبّ به[١] رسول الله ﷺ أى تعلّق به وامتسك - فيما يزعمون - فرقّ له " أبو طالب "[٢] ، **وقال** : والله لأخرجن به معى ولا يفارقنى ، ولا أفارقه أبداً ، أو كما قال ، فخرج به معه - وكان عمره ﷺ آن ذاك تسع سنين ، **وقيل** : ابن اثنتى عشرة سنة — فلما نزل الركبُ بُصرى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له " بَحيرى " فى صومعة له ، وكان إليه عِلْمُ أهل النصرانية ولم يزل فى تلك الصومعة منذ قطّ[٣] راهب ، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها فيما يزعمون يتوارثونه كابراً عن كابر ، فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى وكانوا كثيراً ما يمرّون به قبل ذلك فلا يكلّمهم ولا يَعْرِض لهم حتى كان ذَلك العام ، فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك فيما يزعمون عن شئ رآه وهو فى صومعته ، فى الركب حين أقبلوا، وغمامة تُظلّه من بين القوم، **قال** : ثم أقبلوا فنزلوا فى ظلّ شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلّت الشجرة ، وتَهصرّت[٤] أغصانِ الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته، ثم أرسل إليهم **فقال**: إنى قد صنعتُ لكم طعاماً يا معشر قريش فأنا أُحبُ أن تحضروا كلّكم ، صغيركم وكبيركم وعبُدكم وحرّكم ، **فقال له رجل منهم** : والله يا بحيرى إن لك لشأناً اليوم ، **فما كنتَ تصنع هذا بنا وقد كُنّا نَمُرّ بك كثيراً** ، **فما شأنك اليوم ؟ قال له بحيرى** : صدقت ، قد كان ما

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام . (٢) أنظر : حياة محمد ، صـــ ١٣١ . (٣) قط : أى الدهر . (٤) تهصرت : مالت وتدلت .

تقول ، ولكنكم ضَيْفٌ وقد أحببتُ أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلوا منه كلكم ، فاجتمعوا إليه ، وتخلَّف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه ، فى رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بحيرى فى القوم لم ير الصفة التى يعرف بها ويجدُ عنده **فقال** : يا معشر قريش ، لا يتخلفن أحدٌ منكم عن طعامى ، **قالوا له** : يا بحيرى ، ما تخلّف عنك أحدٌ ينبغى له أن يأتيك إلا غلامٌ وهو أحدثُ القوم سناً ، فتخلَّف فى رحالهم ، **فقال** : لا تفعلوا ، ادعوه فليحضُر هذا الطعامَ معكم ، **قال** : رجل من قريش مع القوم ، واللات والعزى ، إن كان للؤمٌ بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ، ثم قام إليه فاحتضنه ، وأجلسه مع القوم ، فلما رآه بحيرى جعل يَلْحظَهُ لحظاً شديداً وينظُرُ إلى أشياء من جسده ، قد كان يَجدُها عنده من صفته حتى إذا فرَغ القومُ من طعامهم وتفرّقوا ، قام إليه بحيرى **فقال له** : يا غلام ، أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عمّا أسألك عنه وإنما قال له بحيرى ذلك ، لأنه سمع قومه يحلفون بهما – ويقال أنه سأله بالات والعزى اختباراً – فزعموا أن رسول الله ﷺ **قال له** : لا تسألنى بالات والعُزّى فوالله ما أبغضتُ شيئاً قطُّ بُغضهما ، **فقال له بحيرى** : فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ، **فقال له** : سلنى عما بدا لك ، فجعل يسأله عن أشياء من حاله فى نومه وهيئته وأموره فجعل رسول الله ﷺ يُخبره ، فيوافق ذلك ما عند بَحيرى من صفته ، ثم نظر إلى ظهره ، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده . فلما فرغ، أقبل على عَمِّه أبى طالب ، **فقال له** : ما هذا الغلام منك؟ **قال**: ابنى ، **قال له بحيرى**: ما هو بابنك، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً ، **قال** : فإنه ابن أخى ، **قال** : فما فعل أبوه ؟ **قال** : مات وأمه حُبلى به ، **قال**

: صدقت ، فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه يهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفتُ لَيَبْغُنَّهُ شراً ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلاده ، فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام ، **فقيل فيما روى الناسُ** : أن زُريراً وتمَّاماً ودَريساً وهم نفر من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ مثل ما رآه بحيرى فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه أبى طالب، فأرادوه فردّهم عنه بحيرى ، وذكرَّهم الله وما يجدون فى الكتاب من ذكره صفته ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه ، ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قال لهم ، وصدّقوه بما قال ، فتركوه وانصرفوا عنه[١] . **قال ابن إسحاق** : وكان رسول الله ﷺ – فيما ذُكر لى – يُحدث عما كان الله يحفظه به فى صغره وأمر جاهليته **أنه قال** : لقد رأيتنى فى غلمان قريش ننقل حجارةً لبعض ما يلعب به الغلْمان كلُّنا قد تعرّى ، وأخذ إزاره فجعله على رقبته ، يحمل عليه الحجارة ، فإنى لأُقبل معهم كذلك وأُدبر إذ لكمنى لاكمٌ ما أراه ، لكمةً وجيعةً ، **ثم قال** : شُدَّ عليك إزارك ، **قال** : فأخذتُه وشددتُه علىّ ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وإزارى علىّ من أصحابى . **وقد روى عبد الرزاق يسنده إلى** جابر بن عبد الله قوله : " لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله ﷺ ينقل الحجارة ، فقال العباس لرسول الله ﷺ إجعل إزارك على عاتقك من الحجارة ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ، **ثم قام فقال** : " إزارى " فشد عليه إزاره[٢] . **وروى البيهقى بسنده إلى** ابن عباس عن أبيه أنه كان ينقل الحجارة إلى البيت حين بنت قريش البيت – الكعبة – قال

---

(١) السيرة النبوية ، ١/١٨٣ . (٢) أخرجه البخارى ومسلم من طريق عبد الرزاق .

وأفردت قريش رجلين رجلين ، الرجال ينقلون الحجارة ، وكانت النساء تنقل الشيد ، **قال** : فكنت أنا وابن أخى وكنا نحمل على رقابنا وأزرنا تحت الحجارة ، فإذا غشينا الناس أتتزرنا ، فبينما أنا أمشى ومحمد أمامى قال فخر وانبطح على وجهه، فجئت أسعى وألقيت حجرى وهو ينظر إلى السماء ، **فقلت** : ما شأنك ؟ فقام وأخذ إزاره **قال** : " إنى نهيت أن أمشى عرياناً " ، **قال** : وكنت أكتمها من الناس مخافة أن يقولوا مجنون .

يقول الأستاذ هيكل : وأقام محمد مع عمه قانعاً بنصيبه ، يقوم من الأمر بما يقوم به من هم فى مثل سنّه ، فإذا جاءت الأشهر الحرم ظل بمكة مع أهله أو خرج وإيَّاهم إلى الأسواق المجاورة لها بعكاظ ومَجنة وذى المجاز يستمع لإنشاد أصحاب المذهّبات والمعلقات ، وتلتهم أذناه بلاغتهم فى غزلهم وفخرهم وذكرهم أنسابهم ومغازيهم وكرمهم وفضلهم ، ثم يَعْرِض ذلك على بصيرته تلفظ ما لا يسيغ وتعجب بما تراه جديراً بالإعجاب ، ويستمع إلى خطب الخطباء ، ومن بينهم اليهود والنصارى الذين كانوا ينقمون من إخوانهم العرب وثنيتهم ويحدثونهم عن كتب عيسى وموسى ، ويدعونهم إلى ما يعتقدونه الحق ويزن ذلك بميزان قلبه فيراه خيراً من هذه الوثنية التى غرق فيها أهله ، ولكنه لا يطمئن كل الطمأنينة إليه وكذلك جعل القدر يوجه نفسه منذ نعومة أظافره الوجهة التى تهيئه لتبليغ رسالته ، رسالة الهدى والحق للناس كافة[٢] .

---

(١) فتح البارى ، ٤/٤٤١ . (٢) حياة محمد صـ ١٣٢

١٤-رعي النبي للغنم وهو صبي

ومما زاده انصرافاً إلى التفكير والتأمل اشتغاله برعي الغنم سني صباه تلك ، فقد كان يرعى غنم أهله ، ويرعى غنم أهل مكة ، وكان يذكر رَعْيَه إياها مغتبطاً ، وكان يقول : " ما بعث الله نبياً إلا راعى غنم " ، **ويقول** : " بعث موسى وهو راعى غنم ، وبُعث داود وهو راعى غنم وبعثت وأنا أرعى غنم أهلى بأجياد "[١] ، وراعى الغنم الذكى القلب يجد فى فسحة الجو الطلق أثناء النهار وفى تلألؤ النجوم إذا جَنَّ الليل موضعاً لتفكيره وتأمله يسبح منه فى هذه العوالم يبتغى أن يرى ما وراءها ، ويلتمس فى مختلف مظاهر الطبيعة تفسيراً لهذا الكون وخَلْقه ، وهو يرى نفسه ، مادام ذكىّ الفؤاد عليم القلب بعضَ هذا الكون غيرَ منفصل عنه ، أليس هو يتنفس هواءه ولو لم يتنفَّسْه قُضى ! أليست تحييه أشعة الشمس ويغمُرها ضياء القمر ويتَّصل وجوده بالأفلاك والعوالم جميعاً ، هذه الأفلاك والعوالم التى يرى فى فسحة الكون أمامه متصلاً بعضها ببعض فى نظام محكم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ! وإذا كان نظام هذا القطيع من الغنم أمامه يقتضى انتباهه ويقظته حتى لايعدو الذئب على شاة منها ، وحتى لا تضلّ إحداها فى مَهَامِه البادية ، فأى انتباه وأية قوّة تحفظ على نظام العالم كلّ إحكامه ! وهذا التفكير والتأمل من شأنهما صرف صاحبهما عن التفكير فى شهوات الإنسان الدّنيا والسمو به عنها بما يبديان له من كاذب زُخْرُفها ، لذلك ارتفع صلى الله عليه وسلم فى أعماله وتصرفاته عن كل ما يمسّ هذا الاسم الذى أطلق عليه بمكة وبقى له "الأمين" .

---

(٢)البداية والنهاية ، ٢/٢٨٨ .

وحياة التفكير والتأمل وما يستريح إليه من عمل بسيط كرعى الغنم ، ليست بالحياة التى تُدِرّ على صاحبها أخلاق الرزق أو تفتح أمامه أبواب اليسار ، وما كان صلى الله عليه وسلم يهتم لذلك أو يعنى به ، وقد ظلّ طول حياته أشدّ الناس زهداً فى المادة ورغبة عنها وما إقباله عليها وقد كان الزهد بعض طبعه ؟ وكان لا يحتاج من الحياة إلى أكثر مما يقيم صُلبه ! أليس هو القائل " نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع " ! أليس هو الذى عُرف عنه كلَّ حياته حرصه على شظف العيش ودعوة الناس إلى الاستمتاع بخشونة الحياة ؟ والذين يتوقون إلى المال ويلهثون فى طلبه إنما يبتغونه لإرضاء شهوات لم يعرف طوال حياته شيئاً منها ، واللذة النفسية الكبرى ، لذة الاستمتاع بما فى الكون من جمال ومن دعوة إلى التأمل ، هذه اللذة العظيمة التى لا يعرفها إلا الأقلون ، والتى كانت لذته منذ نشأته ومنذ أرته الحياة فى نعومة أظفاره ذكريات بقيت مطبوعة فى نفسه داعية إلى الزهد فى الحياة، وأولاها موت أبيه وهو ما يزال جنيناً، ثم موت أمه ، ثم موت جَدّه ، هذه اللذة ليست فى حاجة إلى ثروة من المال وإن تكن فى حاجة إلى ثروة نفسية طائلة يعرف الإنسان معها كيف يعكف على نفسه ويعيش بها وفى دخيلتها[1] ، ولذا فإن رسول الله ﷺ ألمح إلى عمله بالرعى للغنم ، وهو ما يعطى انطباعاً بأنه كان يعمل بمهنة أهله غير ضجر ولا ذو ضيق من أمره ،

فقد روى الواقدى بسنده إلى عبيد بن عمير **قال** : قال رسول الله ﷺ : " ما من نبى إلا قد رعى الغنم " ، **قالوا** : وأنت يا رسول الله ؟ **قال** : وأنا "[2][3] .

---

(١) حياة محمد - بتصرف ، صـ١٣٥ ، ١٣٦ . (٢) تفسير ابن كثير ، ٤٧١/٥

. (٣) الطبقات لابن سعد ، ١٠٠/١ ، وانظر : صحيح البخارى ، ٤٤١/٤ .

وبسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " ما بعث الله عز وجل نبياً إلا راعى للغنم " **قال له أصحابه :** وأنت يا رسول الله ؟ **قال :** نعم ، وأنا رعيتُها لأهل مكة بالقراريط [١].

وبسنده عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : مروا على النبى ﷺ بثمر الأراك **فقال رسول الله ﷺ :** " عليكم بما اسودّ منه فإنى كنتُ أجتنيه إذ أنا راعى الغنم " **قالوا :** يا رسول الله ورعيتها ؟ **قال ﷺ :** " نعم ، وما من نبى إلا وقد رعاها "[٢]

وبسنده عن جابر بن عبد الله قال : كُنَّا مع النبى ﷺ نجنى الكباث **فقال :** " عليكم بالأسود منه فإنه أطيبُهُ فإنى كنتُ أجنيه إذ كنتُ أرعى الغنم "، **قلنا :** وكنتَ ترعى الغنم يا رسول الله ؟ **قال :** " نعم ، وما من نبى إلا قد رعاها "[٣] .

وبسنده قال : كان بين أصحاب الغنم وبين أصحاب الإبل تنازع ، فاستطال عليهم أصحاب الإبل ، **قال :** فبلغنا ، والله أعلم ، أن النبى ﷺ : قال (بُعث موسى عليه السلام وهو راعى غنم ...إلخ) .

---

(١) البداية والنهاية ، ٢/٢٩٥ .
(٢) حلية الأولياء ، ٧/٢٣٩ .
(٣) صحيح البخارى ، ٤/١٩١ .

١٥- عمله عند خديجة بنت خويلد واتجاره لها فى مالها

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال على مالها مضاربة ، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعث إليه فعرضت عليه أن يخرج لها فى مال تاجراً إلى الشام وتعطيه أفضل ما تعطى غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها وخرج فى مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى نزل الشام ، فنزل رسول الله ﷺ فى ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب إلى ميسرة **فقال :** من هذا الرجل الذى نزل تحت الشجرة ؟ **فقال ميسرة :** هذا رجلٌ من قريش من أهل الحرم ، **فقال له الراهب :** ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبى ثم باع رسول الله ﷺ سلعته - يعنى تجارته التى خرج بها - واشترى ما أراد أن يشترى ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة ، فكان ميسرة - فيما يذكرون ـــ كانت الهاجرة واشتد الحر ، يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فأضعف أو قريباً ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب وعما كان يرى من إظلال الملائكة إياه ، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله بها من كرامتها ، فلما أخبرها ميسرة ما أخبرها بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت : له - فيما يذكرون - يا ابن عم أنى قد رغبت فيك لقرابتك وَسِطَتَكَ[١] فى قومك وأمانتك وحُسن خُلقك ، وصِدق حديثك ثم عرضت عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذٍ أوسط نساء قريش نسباً ، وأعظمهن شرفاً، وأكثرهن مالاً ، كلّ

(١) وسطتك : شرفك .

قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدرُ عليه فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خُويلد بن أسد فخطبها إليه فتزوجها – وقيل أن الذى خطبها أبو طالب ولا حرج أن يكون الاثنين معاً قاما بهذا العمل – **قال ابن هشام** : وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بَكْرةً وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ ، ولم يتزوج عليه غيرها حتى مات رضى الله عنها. **قال ابن إسحاق** : فولدت لرسول الله ﷺ وَلَدَه كلَّهم إلا إبراهيم القاسم، وبه كان يكنى ﷺ ، والطاهر والطيب ، وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة عليهم السلام .

قال ابن إسحاق : فأما القاسم، والطيِّب، والطاهر فهلكو فى الجاهلية، وأما بناتُه فكلهن أدركن الإسلام ، فأسلمن وهاجرن معه ﷺ . وأما إبراهيم فأمه " **مارية القبطية** " ــ **المصرية** ــ التى أهداها إليه المقوقس من حفن من كورة أنْصِنا[1] . من صعيد مصر .

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنتُ خويلد قد ذكرت لورقة بن نوقل ابن أسد بن عبد العزى ، وكان ابن عمها ، وكان نصرانياً قد تتبَّع الكتب وعَلِم من علم الناس ، ما ذكر لها.غلامها ميسرةُ من قول الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يُظلانه ، **فقال ورقة** : لئن كان هذا حقاً يا خديجة ، إن محمداً لنبىُّ هذه الأمة ، وقد عرفتُ أنه كائن لهذه الأمة نبىٌّ يُنتظر ، هذا زمانه أو كما قال[2][3] .

---

(١) **مارية بنت شمعون** ، **وحفن** : قرية من قرى الصعيد ، **وأنصنا** : مدينة من نواحى الصعيد على شرقى النيل ، **ويقال** إنها كانت مدينة السحرة ينسب إليها كثير من أهل العلم .

(٢) السيرة النبوية ، ١/١٨٧-١٩١ . (٣) البداية والنهاية ، ٢/١٩٣-٢٩٦ .

هذا : وقد روى الواقدى بسنده إلى أم سعد بنت سعد بن الربيع عن نفيسةَ بين مُنية **قالت** : كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قُصىّ امرأة حازمة جلدة ، شريفة ، مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير وهى يومئذ أوسط قريش نسباً وأعظمهم شرفاً ، وأكثرهم مالاً ، وكلّ قومها كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الأموال ، فأرسلتنى دسيساً إلى محمد بعد أن رجع فى عيرها من الشام ، **فقلت** : يا محمد ما يمنعك أن تزوّج ؟ **فقال** : " ما بيدى ما أتزوج به " ، **قلت** : فإن كُفيت ذلك ودُعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب ؟ **قال** : فمن هى؟ **قلت** : خديجة ، **قال** : " وكيف لى بذلك ؟ " ، **قالتْ** : **قلتُ** : علىّ، **قال** : " فأنا أفعلُ "، فذهبت فأخبرتها، فأرسلت إليه أن ائت لساعة كذا وكذا، وأرسلت إلى عمّها عمرو بن أسد ليزوجها، فحضر ودخل رسول الله ﷺ فى عمومته ، فزوّجه أحدهم ، **فقال عمرو بن أسد** : هذا البُضْعُ لا يُقرع أنفه ، وتزوجها رسول الله ﷺ وهو ابن خمس وعشرين سنة، وخديجة يومئذ بنت الأربعين سنة وُلدت قبل الفيل بخمس عشرة سنة[1] .

---

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ، ١٠٥/١ .

١٦- حكم رسول الله ﷺ بين قريش فى وضع الحجر الأسود فى مكانه

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وثلاثين اجتمعت قريش لبنيان الكعبة ، وكانوا يهمُّون بذلك ليسقّفوها ويهابون هدمها ، وإنما كانت رَضْماً فوق القامة ، فأرادوا رَفْعها وتسَقْيفها ، وذلك أن نفراً سرقوا كنزاً للكعبة ، وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة ، وكان الذى وُجد عنده الكنز دُوَيْكاً مولى لبنى مُلَيح بن عمرو من خزاعة ، **قال ابن هشام :** فقطعت قريش يده ، وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دُويك ، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدّة لرجل من تجار الروم ، فتحطمت ، فأخذوا خشبها فأعدّوه لتسقيفها ، وكان بمكة رجل قِبطى نجاراً ، فتهيأ لهم فى أنفسهم بعض ما يُصلحها ، وكانت حيَّة تخرج من بئر الكعبة التى كان يُطرح فيها ما يُهدى لها كل يوم ، فتتشرق[١] على جدار الكعبة ، كانت مما يهابون ، وذلك أنه كان لا يدنوا منها أحد إلا احزَألّتْ وكشت[٢] ، وفتحت فاها ، وكانوا يهابونها ، فبينما ذات يوم تتشرّق على جدار الكعبة ، كم كانت تصنع بعث الله إليها طائراً فاختطفها ، فذهب بها ، **فقالت قريش :** إنا لنرجو أن يكون الله قد رضى ما أردنا ، عندنا عامل رفيق وعندنا خشب ، وقد كفانا الله الحية .

فلما أجمعوا أمرهم فى هدمها وبنائها ، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن

---

(١) **تتشرق :** تبرز للشمس ، **ويقال :** تشرقت : إذا قعدت للشمس لا يحجبك عنها شئ .

(٢) **احزألت وكشت :** رفعت رأسها وصوتت باحتكاك بعض جلدها ببعض .

عبد بن عمران بن مخزوم فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه ، **فقال** : يا معشر قريش ، لا تُدخلوا فى بنائها من كَسْبكم إلا طيِّباً ، لا يدخل فيها مَهْر بغىّ ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس – والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر ابن مخزوم – **ومعنى ينحلون** : ينسبون .

ثم إن قريشاً جَزّأت الكعبة ، فكان شق الباب لبنى عبد مناف وزهرة ، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليمانى لبنى مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم ، وكان ظهرُ الكعبة لبنى جُمح وسهم ، وابنى عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى ، وكان شقّ الحِجْر لبنى عبد الدار بن قُصى ، ولبنى أسد بن عبد العزى بن قصى ، ولبنى عد بن كعب بن لؤى وهو الحطيم . ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقُوا منه ، **فقال الوليد بن المغيرة** : أنا أبدؤكم فى هدمها ، فأخذ المعول ، ثم قام عليها وهو **يقول** : اللهم لا تُرَعْ[1] – **قال ابن هشام** : **ويقال** : اللهم لم نُزغ – اللهم إنا لا نريد إلا الخير ، ثم هدم من ناحية الركنين ، فتربص الناسُ تلك الليلة ، **وقالوا** : ننظر ، فإن أُصيب لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت ، وإن لم يُصبه شئ ، فقد رضى الله صُنْعَنا ، فهدمنا فأصبح الوليدُ من ليلته غادياً على عمله ، فهدمَ وهدمَ الناسُ معه ، حتى إذا انتهى الهدمُ بهم إلى الأساس ، أساس إبراهيم عليه السلام ، أفضَوا إلى حجارة خُضْر كالأسنِمة[2] آخذٌ بعضها بعضاً .

---

(١) لم ترع : لم تفزع ، والضمير فيها يعود على الكعبة .

(٢) الأسنمة : جمع سنام ، وهو أعلى الظهر ، وأراد أن الحجارة دخل بعضها فى بعض كما تدخل عظام السنام بعضها فى بعض فشبهها بها .

الحجر تنقضت[١] مكة بأسرها فانتهوا عن ذلك الأساس .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض مَنْ يَروى الحديث : أن رجلاً من قريش ممن **وحُدثت أن قريشاً وجدوا فى الركن كتاباً بالسريانية، فلم يدروا ما هو حتى قرأ لهم رجل من يهود فإذا هو:**

: أنا الله ذوبكةَ خلقتُها يوم خلقتُ السماوات والأرض ، وصوّرتُ الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك حُنفاء، لا تزول حتى يزول أخشابَها[٢] مبارك لأهلها فى الماء واللبن.

وحُدثت أنهم وجدوا فى المقام كتاباً فيه : مكة بيت الله الحرام يأتيها رِزقُها من ثلاثة سُبُل ، لا يُحلُها أولُ من أهلها .

ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدِةَ ، ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه كلّ قبيلة تُريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوزوا[٣] وتحالفوا وأعدوا للقتال ، فقرَّبت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً، ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت ، وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجَفنة فسموا لعقة الدم ، فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسًا ، ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد ، وتشاوروا وتناصفوا .

فذكربعض أهل الرواية : أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم ، وكان عامئذ أسنَّ قُريش كلَّها **قال** : يا معشر قريش ، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ففعلوا فكان أول داخل

---

(١) اهتزت . (٢) أخشابها : جبالها . (٣) تحاوزوا : انحازت كل قبيلة إلى جهة

عليهم رسول الله ﷺ فلما رأوه **قالوا** : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد ، فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر ، قال ﷺ : هلم إلى ثوباً ، فأتى به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ، **ثم قال** : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا : حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه[1] . وإلى قضية التحكيم هذه يقول ا بن أبى وهب المخزومى :

تشاجرت الأحياء فى فضل خطة	جرت بينهم بالنحس من بعد أسْعُدِ
تلاقوا بها بالبغض بعد مودة	وأوقد ناراً بينهم شر موقدِ
فلما رأينا الأمر قد جد جده	ولم يبق شئ غير سبل المهند
رضينا وقلنا العدل أول طالع	يجيئ من البطحاء من غير موعد
ففاجأنا هذا الأمين محمد	فقلنا رضينا بالأمين محمد

وروى **الواقدى بسنده إلى ابن عباس وجبير بن مطعم** دخل حديث بعضهم فى بعض **قالوا** : كانت الجُرْف مطلّة على مكة ، وكان السيل يدخلُ من أعلاها حتى يدخل البيت فانصدع فخافوا أن ينهدم ، وسُرق منه حلْية وغزال من ذهب كان عليه در وجوهر ، وكان موضوعاً بالأرض فأقبلت سفينة فى البحر فيها روم ، ورأسهم باقوم ، وكان بانياً فجنحتها الريح إلى الشّعَيْبة ، وكانت مرفأ السفن قبل جُدّة ، فتحطمت السفينة ، فخرج الوليد بن المغيرة فى نفر من قريش إلى السفينة فابتاعوا خشبها وكلموا الرومى باقوم فقدم معهم[2] ...إلخ) ، والباقى قد مر فى الحديث السابق .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، ١٩٢/١-١٩٧ بتصرف . (٢) الطبقات الكبرى ، ١١٦/١ .

يقول د/ هيكل : وتعاقبت السنون ومحمد يشارك أهل مكة فى حياتهم العامة ، ويجد فى خديجة خير النساء حقاً : الودود الولود هى التى وهبت نفسها له ، والتى أنجبت له من الأبناء القاسم وعبد الله الملقب بالطاهر والطيب ، ومن البنات زينب ورُقية وأم كلثوم وفاطمة ، أما القاسم وعبد الله فلم يعرف عنهما إلا أنهما ماتا طفلين فى الجاهلية لم يتركا على الحياة أثراً يبقى أو يذكر ، لكنهما من غير شك قد ترك موتهما فى نفس أبويهما ما يتركه موت الابن من أثر عميق ، وترك موتهما من غير شك فى نفس خديجة ما جرح من أمومتها جرحين داميين ، وأما البنات فقد عُنى محمد بتزويجهن من أكفاء لهن : زوّج زينب كُبراهن من أبى العاص بن الربيع بن عبد شمس وكانت أمه أختاً لخديجة ، وكان فتى مقدَّراً من قومه لاستقامته ونجاح تجارته ، وكان هذا الزواج موفقاً على الرغم مما كان بعد الإسلام ، حين أرادت زينب الهجرة من مكة إلى المدينة من فُرقة بينهما سنرى من بعدُ تفصيلها ، وزوج رُقية وأم كلثوم من عُتبة وعُتيبة ابنى عمه أبى لهب ، ولم تبق الزوجتان مع زوجيهما بعد الإسلام ، إذ أمر أبو لهب ابنيه بتسريحهما فتزوجهما عثمان واحدة بعد الأخرى ، وكانت فاطمة ما تزال طفلة فلم تُزوج من علىّ ﷺ إلا بعد الإسلام .

حياة طمأنينة ودعة إذاً كانت حياةُ محمد فى هذه السنين من عمره لولا احتسابه بنيه لكانت حياة نَعْمة بمودّة خديجة ووفائها وبهذه الأبوة السعيدة الراضية ، طبيعىّ لذلك أن يترك نفسه لسجيتّها ، سجية التفكير والتأمل ، وأن يستمع إلى قومه فيما كان حوارهم يقع عليه من أمور أصنامهم ، وما كان النصارى واليهود يقولونه لهم ، وأن يفكر ويتدبر وأن يكون أشد من كل قومه تدبراً وتفكيراً ، فهذا

الروح القوى الملهم ، هذا الروح الذى أعدّته الأقدار ليبلّغ الناس من بعدُ رسالات ربه ويوجّه حياة العالم الروحية الاتجاه الحق ، لا يمكن أن يظل مطمئناً إلى ما غرق الناس فيه إلى الأذقان من ضلال ، ولابد أن يلتمس فى الكون أسباب الهدى ، حتى يُعِدَّه الله ليلقى عليه ما قُدِّر فى الغيب من رسالته ، ومع عظيم توجهه إلى هذه الناحية الروحية وشديد تعلقه بها ، لم يكن يريد لنفسه أن يكون من طراز الكهّان ولا أراد أن ينصب نفسه حكيماً على نحو ما كان ورقة بن نوفل وأمثاله ، إنما كان يريد الحق لنفسه ، فكان لذلك كثير التفكير طويل التأمل ، قليل الإفضاء إلى غيره بما يجيش بنفسه من آثار تفكيره وتأمله(١) .

---

(١) أنظر : حياة محمد

١٧- ذكر علامات النبوة فى رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه •

روى الواقدى بسنده إلى خالد بن معدان قال : قيل لرسول الله ﷺ أخبرنا عن نفسك قال : " نعم أنا دعوة إبراهيم ، وبشّر بى عيسى بن مريم، ورأت أمي حين وضعتني خرج منها نور أضاءت له قصورُ الشام ، واستُرضِعتُ فى بنى سعد بن بكر ، فبينما أنا مع أخى خلف بيوتنا نرعى "بَهْماً" أتانى رجُلان عليهما ثيابٌ بياضٌ بطستٍ من ذهب مملوءٍ ثَلْجاً فأخذانى فشقّا بطنى فاستخرجا قلبى فشقّاهُ فاستخرجا منه علقةً سوداء فطرحاها ثم غسلا بطنى وقلبى بذلك الثلج **ثم قال :** زِنْهُ بمائةٍ من أُمّته ، فوزنونى بهم فوزنتُهُم ، **ثم قال :** زنهُ بألفٍ من أمته، فوزنونى بهم فوزنتهم، **ثم قال :** دعه ، فلو وزنتَهُ بأمتهِ لوزنها "[(١)(٢)] .

وسبق أن ذكرتُ ما حدث له مع حليمة السعدية عندما عادت به إلى بيتها ، وإدرار اللبن عليه وشربها من شارفها ، ورعى غنمها وبركة المرعى أمام أغنامها وإبلها ، وأن الأغنام والإبل كانت ترعى مع غنمها وإبلها وتعود جائعة وتعود أغنام وإبل حليمة مشبعة من الطعام ، وأن أخته سارت به فى الحر ولما عنفتها أمها **قالت لها :** بأن لا تخاف حيث إن هناك غمامة تظلله ، وعندما شُق صدره ، وخافت حليمة وعادت به إلى أمه "آمنة" أخبرتها آمنة بأنه لا خوف عليه حيث إنه محفوظ ، ثم ما كان من عطف جده عليه وإجلاسه على فرشه بجوار الكعبة ، ثم ما كان من بركته الواضحة عندما كفله عمه أبو طالب ، فكان إذا سبقه أبناء عمه على الطعام لم يشبعوا وإذا انتظروا حضوره وأكلوا معه شبعوا

---

(١) الطبقات الكبرى ، ١١٩/١ .
(٢) كشف الخفا ، ٣٣٦/١ .

جميعاً كما أن أبناء عمه كانوا يصبحون عمصاً رمساً ويصبح هو جميلاً كحيلاً ، وعندما سار به إلى الشام وسمع ما قاله بحيرا الراهب فى شأنهﷺ وعودته به سريعاً خوفاًعليه ﷺ . **وروى الواقدى بسنده عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب قال** : كنت بذى المجاز ومعى ابن أخى ، يعنى النبىﷺ فأدركنى العطش فشكوت إليه **فقلت** : يا ابن أخى قد عطشتُ وما قلتُ له ذاك وأنا أرى أن عنده شيئاً إلا الجزع **قال** : فثنى وَرِكه ثم نزل **فقال** : " يا عمّ أعطشْتَ ؟ " **قال** : **قلت** : نعم ، **قال** : فأهوى بعقبه إلى الأرض فإذا بالماء ، **فقال** : " اشرب يا عمّ " **قال** : فشربت[١] .

وبسنده إلى سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى قال : قال راهب لأبى طالب : لا تخرجّن بابن أخيك إلى ما ههنا فإن اليهود أهل عداوة ، وهذا نبىّ هذه الأمة ، وهو من العرب واليهود تحسده تريد أن يكون من بنى إسرائيل ، فاحذر على ابن أخيك[٢] .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ، ١٢١/١ .

(٢) الطبقات الكبرى ، ١٢٣/١

١٨ - إخبار الكهان من العرب ، والأحبار من يهود والرهبان من النصارى ، بمبعثه ﷺ

أ- معرفة الكهان والأحبار والرهبان بمبعثه ﷺ :

قال ابن إسحاق : وكانت الأحبار من يهود ، والرُّهبان من النصارى، والكُهَّان من العرب ، قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مَبْعثه ، لما تقارب من زمانه ، أما الأحبار من يهود والرهبان من النصارى ، فعَمَّا وجدوا فى كُتبهم من صفته وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه ، وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تَستَرق من السمع ، إذ كانت وهى لا تُحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهنُ والكاهنة لا يزال يَقعَ منهما ذِكرُ بعض أموره ، لا تُلْقِى العربُ لذلك فيه بالاً ، حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الأمور التى كانوا يَذْكرون ، فعرفوها .

فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ وحضر مبعثُهُ ، حُجبت الشياطين عن السمع ، وحِيل بينها وبين المقاعد التى كانت تَقْعُد لاستراق السمع فيها ، فرموا بالنجوم ، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله فى العباد ، يقول تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ حين بعثه، وهو يقُصّ عليه خبر الجن إذ حُجبوا عن السمع، فعرفوا ما عرفوا، وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ استمع نفرٌ من الجن فقالوا إنا سمعنا قُرآناً عجبا * يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نُشركَ بربنا أحداً * وأنه تعالى جَدُّ رَبِّنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً * وأنهُ كانَ يقولُ سفيهُنا على الله شططَا * وأنا ظننَّا أن لن تقولَ الإنسُ والجنّ على الله كذبا * وأنه كان رجالٌ من الإنس يعوذون برجال من الجن ، فزادوُهم رهقاً ، وأنهم ظنوا كما

ظننتم أن لن يبعث الله أحدا . وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا .وأنا كُنّا نقعُدُ منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجدله شهاباً رصداً * وأنالا ندرى أشرٌ أُريَد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربُّهُمْ راشداً "[١] .

فلما سمعت الجن القرآن عرفتْ أنها إنما مَنعت من السمع قبل ذلك ، لئلا يُشْكلَ الوحىْ بشئ من خبر السماء فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه ، لوقوع الحجة وقطع الشبهة ، فأمنوا وصدقوا ، ثم (ولَّوْا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد مُوسى مصدقاً لما بين يديه ، يهدى إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم)[٢] الآية .

وكان قولُ الجن : و" أنه كان رجالٌ من الأنس يعوذون برجال من الجن ، فزادوهم رهقاً " أنه كان الرجلُ من العرب من قريش وغيرهم إذا سافر منزل بَطنْ واد من الأرض ليبيت فيه ، **قال** : إنى أعوذ بعزيز هذا الوادى من الجن الليلة من شر ما فيه ، **والرهق** : الطغيان والسفة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عُتبة بن المغير بن الأخنس أنه حُدِّث أن أول العرب فَزِع للرمى بالنجوم حين رمُى بها ، هذا الحى من ثقيف ، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له عمرو ابن أمية ، أحد بنى عِلاج ، **قال** : وكان أدهى العرب وأنكرها[١] رأياً ، **فقالوا له** : يا عمرو : ألم تر ما حدث فى السماء من القذف بهذه النجوم ؟ **قال** : بلى فانظروا ، فإن كانت معالم النجوم التى يُهتدى بها فى البر والبحر ، وتُعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء لما يُصلح

(١) سورة الجن .　　(٢) سورة الأحقاف .

الناسَ فى معايشهم ، تى التى يُرمى بها ، فهو والله طىّ الدنيا وهلاك هذا الخَلْق الذى فيها، وإن كانت نجومها غيرها، وهى ثابتة على حالها ، فهذا الأمر أراد الله به هذا الخَلْق ، **فما هو ؟**

قال ابن إسحاق : وذكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، عن عبد الله بن العباس ، عن نفر من الأنصار : أن رسول الله ﷺ **قال لهم :** ماذا كنتم تقولون فى هذا النجم الذى يُرمى به ؟ **قالوا :** يا نبى الله كنا نقول حين رأيناها يُرمى بها : مات مَلِك مُلّكَ ، ولد مولود مات مولود ، فقال رسول الله ﷺ ليس ذلك كذلك ولكن الله تبارك وتعالى كان إذا قضى فى خَلْقه أمراً سمعه حَملةُ العرش ، فسبَّحوا ، فسَبَّح مَنْ تحتهم ، فسبح لتسبيحهم مَنْ تحت ذلك ، فلا يزال التسبيحُ يهبط حتى ينتهى إلى السماء الدنيا فيسبِّحوا ثم يقول بعضهم لبعض ممّ سبَّحتم فيقولون سبَّح مَنْ فوقنا فسبَّحنا لتسبيحهم ، **فيقولون :** ألا تسألون مَنْ فوقكم ممّ سبَّحوا ؟ **فيقولون** مثل ذلك ، حتى ينتهوا إلى حملة العرش **فيقال لهم :** ممّ سبَّحتم ؟ **فيقولون :** قضى الله فى خَلْقه كذا وكذا ، للأمر الذى كان ، فيهبطُ به الخير من سماء إلى سماء حتى ينتهى إلى السماء الدنيا، فيتحدثوا به ، فتسترقه الشياطين بالسمع ، على توهم واختلاف ، ثم يأتوا به الكهان من أهل الأرض فيحدثوهم به فيخطئون ويصيبون فيتحدث به الكهان ، فيصيبون بعضاً ويخطئون بعضاً ، ثم إن الله عز وجل حجب الشياطين بهذه النجوم التى يُقذفون بها، فانقطعت الكهانة اليومَ، فلا كهانة

---

(١) **أنكرها رأيا :** أمداها رأيا من النكر : بفتح النون وهو الدهاء ويروى بالباء " أبكرها رأياً " أى أشدهم إبداء الرأى لم يسبق إليه من البكور أو : أمكرها رأيا .

قال ابن إسحاق : وحدثني علي بن نافع الجرشي : أن جنباً - بطن من اليمن - كان لهم كاهنٌ في الجاهلية ، فلما ذُكر أمر رسول الله ﷺ وانتشر في العرب ، **قالت له جَنْب** : انظر لنا في أمر هذا الرجل ، واجتمعوا له في أسفل جبله ، فنزل عليهم حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس له فرفع رأسه إلى السماء طويلاً ، ثم جعل ينزو - يثب - **ثم قال** : أيها الناس ، إن الله أكرم محمداً واصطفاه ، وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيها الناس قليل ، ثم أسند - علا وارتفع - في جبله راجعاً من حيث جاء .

إنذار يهود برسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه **قالوا** : إن مما دعانا إلى السلام ، مع رحمة الله تعالى وهُداه لنا لَما كنَّا نسمع من رجال يهود وكنَّا أهلَ شِرك أصحاب أوثان وكانوا أهلَ كتاب، عندهم علمٌ ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نِلْنا منهم بعض ما يكرهون ، **قالوا لنا** : إنه قد تقارب زمانُ نبيّ يُبعث الآن نقتلكُم معه قَتْلَ عادٍ وإرم قُلنَّا كثيراً ما نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسول الله ﷺ أجَبْناه ، حين دعانا إلى الله تعالى ، وعرّفنا ما كانوا يتوعَّدوننا به ، فبادرناهم إليه ، فآمنا به ، وكفروا به ، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة " ولما جاءَهم كتابٌ من عند الله مُصدِّقٌ لما معهم ، وكانوا من قبلُ يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفُوا كفروا به فلعنةُ الله على الكافرين "[١][٢] .

---

(١) السيرة النبوية ، ٢٠٩/١ . (٢) سورة البقرة ، آية رقم " ٨٩ " . (٣) سورة الأعراف ، آية رقم " ٨٩ " .

قال ابن هشام : يستفتحون : يستنصرون ، ويستفتحون أيضاً يتحاكمون ، وفى كتاب الله تعالى (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين)(١) .

وعن سلمة بن سلامة بن وقش ، وكان سلمة من أصحاب بدر **قال** : كان لنا جار من يهود فى بنى عبد الأشهل **قال** : فخرج علينا يوماً من بيته حتى وقف على بنى عبد الأشهل – **قال سلمة** –: وأنا يومئذ من أحدث منْ فيه سنّاً ، علىّ بُردْة لى ، مُضْطجع فيها بفناء أهلى – فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار ، **قال** : فقال ذلك لقوم أهل شِرْك أصحاب أوثان لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت ، **فقالوا له** : ويحك يا فلان أو ترى هذا كائناً ، أن الناس يُبعثون بعد موتهم إلى دارٍ فيها جنَّة ونار يجزون فيها بأعمالهم ؟ **قال** : نعم ، والذى يُحلف به – يعنى والله – ولودّ أن له بخطّه من تلك النار أعظمِ تنور فى الدار ، يحمونه ثم يُدخلونه إياه فيطيّنونه عليه ، بأن ينجوا من تلك النار غداً ، **فقالوا له** : ويحك يا فلان! فما آية ذلك ؟ **قال** : نبى مبعوث من نحو هذه البلاد ، وأشار بيده إلى مكة واليمن ، **فقالوا** : ومتى تراه ؟ **قال** : فنظر إلىّ وأنا مِنْ أحدثهم سنّاً ، **فقال** : إن يستنفد هذا الغلام عمرَهُ يدركه، **قال سَلَمةَ**: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمداً رسوله ﷺ ، وهو حىّ بين أظهرنا ، فآمنّا به ، وكفر به بغياً وحسداً ، **قال** : **فقلنا له** : ويحك يا فلان ألست الذى قلتَ لنا فيه ما قلت ؟ **قال** : بلى ، ولكن ليس به– أى لست بالذى يؤمن به – .

وعن عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة **قال لى** : هل تدرى عَمّ كان إسلام ثَعْلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد نفر من بنى هَدْل ، إخوة

---

(١) سورة الأعراف ، آية رقم " ٨٩ " .

بنى قريظة ، كانوا معهم فى جاهليتهم ثم كانوا سادتهم فى الإسلام ، **قال : قلتُ :** لا والله ، **قال** : فإن رجلاً من يهود من أهل الشام ، **يقال له** : ابن الهيبان ، قَدِمَ علينا قُبيل الإسلام بسنين ، فحلَّ بين أظهُرنا ، لا والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلى الخمس أفضل منه ، فأقام عندنا فكنا إذا قَحِطَ عنا المطرُ **قلنا له** : اخرُج يابن الهيبان فاستسق لنا ، **فيقول** : لا والله حتى تُقدِّموا بين يدى مَخْرَجكم صدقة ، **فنقول له** : كم ؟ **فيقول** : صاعاً من تمر أو مُدَّيْن من شعير ، **قال:** فنُخرجها ثم يَخْرج بنا إلى ظاهر حَرّتنا فيستسقى الله لنا ، فوالله ما يبرح مَجْلسه حتى يمرّ السحابُ ونُسقى ، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث ، **قال** : ثم حضرتْهُ الوفاةُ عندنا ، فلما عَرَف أنه مَيِّت ، **قال** : يا معشر يهود ، ما ترونه أخْرَجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ **قال : قلنا : إنك أعلم ، قال :** فإنى إنما قَدِمْتُ هذه البلدة أتوكَّف – يعنى أنتظر – خروج نبى قد أظلّ زمانه ، وهذه البلدة مُهاجَرة فكنتُ أرجو أن يُبعث فأتبعه ، وقد أظلّكم زمانه فلا تُسبقنّ إليه يا معشر يهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء وسبىْ الذَّرارى والنساء ممَّن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه ، فلما بُعث رسول الله ﷺ وحاصَرَ بنى قريظة **قال هؤلاء الفتية ، وكانوا شباباً أحداثاً** : يا بنى قُريظة ، والله إنه للنبى الذى كان عهد إليكم فيه ابن الهيبان ، **قالوا** : ليس به ، **قالوا** : بل والله ، إنه لهو بصفته ، فنزلوا وأسلموا ، وأحرزوا دماءَهم وأموالهم وأهليهم . **وقد روى ابن سعد بسنده إلى كعب** بن أسد أنه قال لبنى قريظة حين نزل النبى ﷺ فى حصنهم : يا معشر يهود تابعوا الرجل فوالله إنه النبى ، وقد تبيَّن لكم أنه نبى مُرسل وأنه الذى كنتم تجدونه فى

الكتب وأنه الذى بشر به عيسى ، وأنكم لتعرفون صفته ، **قالوا** : هو به ، ولكن لا نفارق حكم التوراة .

وبسنده إلى أبى هريرة قال : أتى رسول الله ﷺ بيت المدارس **فقال:** " أخرجوا إلىَّ أعلمكم " **فقالوا** : عبد الله بن صوريا ، فخلا به رسول الله ﷺ فناشده بدينه وبما أنعم الله به عليهم وأطعمهم من المن والسلوى وظللّهم به من الغمام " أتعلمُ أنى رسولُ الله ؟ **قال** : اللهم . نعم وإن القوم ليعرفون ما أعرف ، وإن صفتك ونعتك لبيِّن فى التوراة ولكنهم حسدوك ، **قال** : " فما يمنعُكَ أنت ؟ " **قال** : أكره خلاف قومى، وعسى أن يتّبعوك ويُسلموا فأُسلم.

وروى ابن سعد قال أخبرنا على بن محمد عن أبى معشر عن محمد بن جعفر بن الزبير ومحمد بن عمارة بن غزية وغيرهما **قالوا** : قدِم وفد نجران ، وفيهم أبو الحارث بن علقمة بن ربيعة ، له علم بدينهم ورئاسة ، وكان أسقُفهم وإمامهم وصاحب مدارسهم وله فيهم قدر ، فعثرت به بغلته ، **فقال أخوه** : تَعِس الأبعد ، يريد رسول الله ﷺ **فقال أبو الحارث** : بل تَعِسْتَ أنتَ ، أتشتم رجلاً من المرسلين ؟ إنه الذى بشّر به عيسى وإنه لفى التوراة ! **قال** : فما يمنعك من دينه ؟ **قال** : شرّفنا هؤلاء القوم وأكرمونا وموّلونا وقد أبوْ إلا خلافه ، فحلف أخوه ألا يَثنى له صَعراً حتى يقدم المدينة فيؤمن به قال : مهلاً يا أخى فإنما كنت مازحاً قال : وإن ، فمضى يضرب راحلته وأنشأ يقول :

إليكَ يغدو قَلقاً وضينُها مُعْتَرِضاً فى بَطْنِها جنينُها

مخالفاً دين النصارىَ دينُها

قال : فقدم وأسلم . **وروى ابن سعد بسنده** عن ابن عباس قال : بعثت قريش النضر بن الحارث بن علقمة وعُقبة بن أبى معيط وغيرهما إلى يهود يثرب وقالوا لهم: سلوهم عن محمد ، فقدموا المدينة **فقالوا** : أتيناكم لأمر حدث فينا ، منا غلامٌ حقيرٌ يقول قولاً عظيماً يزعم أنه رسول الرحمن ، ولا نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة ، **قالوا** : صفوا لنا صفته ، فوصفوا لهم ، **قالوا** : فمن تبعه منكم ؟ **قالوا** : سِفْلَتُنا ، فضحك حبر منهم **وقال** : هذا النبى الذى نجد نعتَهُ ونجد قومه أشد الناس له عداوة[1].

وروى ابن سعد بسنده عن مجاهد : أن بنى غِفَار قرّبوا عجلاً لهم ليذبحوه على بعض أصنامهم فشدوه فصاح : يالِ ذريح أمر نجيح صائح يصيح ، بلسان فصيح ، بمكة يشهد أن لا إله إلا الله **قال** : فنظروا فإذا النبى ﷺ قد بُعث .

وروى ابن سعد بسنده إلى ابن عباس قال : حدثتنى أم أيمن **قالت** : كانت بِبُوانة صنمٌ تحضره قريش تعظّمه، تنسك له النسائك ، ويحلقون رؤوسهم عنده ، ويعكفون عنده يوماً إلى الليل ، وذلك يوماً فى السنة ، وكان أبو طالب يحضره مع قومه وكان يُكلّم رسول الله ﷺ أن يحضر ذلك العيد مع قومه فيأبى رسول الله ﷺ ذلك، حتى رأيت أبا طالب غضب عليه، ورأيت عمّاته غَضِبْن عليه يومئذٍ أشدّ الغضب ، **وجعلن يقلن** : إنا لنخاف عليك مّما تصنع من اجتناب آلهتنا ، **وجعلن يَقُلْنَ** : ما تريد يا محمدُ أن تحضر لقومك عيداً ولا تُكَثّر لهم جمعاً ، **قالت** : فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ، ثم رجع إلينا مرعوباً فزعاً

---

(١) الطبقات الكبرى ١٣١/١ .

فقالت له عمّاته : ما دهاك ؟ **قال** : " إنى أخشى أن يكون بى لَمَمٌ " **فقُلن** : ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك ، فما الذى رأيت ؟ **قال** : " إنى كلّما دنوتُ من صَنَمٍ منها تَمَثَّلَ لى رجلٌ أبيضُ طويلٌ يَصيحُ بى وراءك يا محمدٌ لا تَمَسّهُ ! " **قالت** : فما عاد إلى عيد لهم حتى تنبأ " .

وروى الواقدى بسنده إلى ابن عباس عن أبىّ بن كعب قال : لمّا قدم تُبّع المدينة ونزل بقناة فبعث إلى أحبار اليهود **فقال** : إنى مُخرّب هذا البلد حتى لا تقوم به يهودية ويرجع الأمر إلى دين العرب **قال**: فقال له سامول اليهودى، وهو يومئذ أعلمهم : أيها الملك إن هذا بلد يكون إليه مُهاجَر نبىّ من بنى إسماعيل مولده مكة اسمه أحمد ، وهذه دار هجرته ، إن منزلك هذا الذى أنت به يكون به من القتلى والجراح أمر كبير فى أصحابه وفى عدوّهم ، **قال تُبَّع** : ومن يقاتله يومئذٍ وهو نبى كما تزعمون ؟ **قال** : يسير إليه قومه فيقتتلون ههنا **قال** : فأين قبره؟ **قال** : بهذا البلد ، **قال** : فإذا قُوتل لمن تكون الدّبْرة ؟ **قال** : تكون عليه مرة وله مرّة ، وبهذا المكان الذى أنت به تكون عليه ، ويُقتل به أصحابه مقتلة لم يُقتلوا فى موطن ثم تكون العاقبة له ويظهر فلا ينازعه هذا الأمر أحد **قال** : وما صفته ؟ **قال** : رجلٌ ليس بالقصير ولا بالطويل فى عينيه حُمرة ، يركب البعير ، ويلبس الشملة ، سيفه على عاتقه لا يبالى من لاقى أخاً أو ابن عمّ أو عمّاً حتى يظهر أمره ، **قال تُبّع** : ما إلى هذا البلد من سبيل ، وما كان ليكون خرابها على يدى فخرج تُبّع منصرفاً إلى اليمن .

وروى الواقدى بسنده إلى جبير بن مطعم قال : كُنّا جلوساً عند صنم بُبوانة قبل أن يبعث رسول الله ﷺ بشهر فنحرنا جُزُراً - إبل صغيرة - فإذا صائح

يصيح من جوف واحدة : اسمعوا إلى العجب ، ذهب استراق الوحى ونُرمى بالشُهب لنبى بمكة اسمه أحمد ، مهاجره إلى يثرب ، **قال** : فأمسكنا وعجبنا ، وخرج رسول الله ﷺ[١][٢] أى وبعث وبدا أمره .

وروى الواقدى قال حدثنى عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال : كان الزبير بن باطا ، وكان أعلم اليهود **يقول** : إنى وجدتُ سِفراً - يعنى كتاباً - كان أبى يختمه علىّ ، فيه ذكر أحمد نبىّ يخرج بأرض القَرَظ صفته كذا وكذا فتحدث به الزبير بعد أبيه والنبى ﷺ لم يُبعث ، فما هو إلا أن سمع بالنبى ﷺ ، قد خرج بمكة حتى عمد إلى ذلك السفر — الكتاب — فمحاهُ وكتم شأن النبى ﷺ ، وقال : ليس به .

وروى الواقدى بسنده إلى ابن عباس قال : كانت يهود قُريظة والنضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبى ﷺ عندهم قُبيل أن يبعث ، وأن دار هجرته بالمدينة ، فلما ولد رسول الله ﷺ قالت أحبار اليهود : وُلد أحمد الليلة ، هذا الكوكب قد طلع ، فلما تنبئ قالوا : قد تنبىّ أحمد ، قد طلع الكوكب الذى يطلع ، كانوا يعرفون ذلك ، ويُقرّون به ويصفونه إلا الحسد والبغى أى الذى منعهم هو الحسد والبغى .

وبسنده إلى نملة بن أبى نملة عن أبيه قال : كانت يهود بنى قريظة يَدْرُسون ذكر رسول الله ﷺ فى كتبهم ويُعلمونه الولدان بصفته واسمه ومُهاجره إلينا ، فلما ظهر رسول الله ﷺ حسدوا وبغوا وقالوا ليس به[٣] .

. (١) الطبقات الكبرى ، ١٢٧/١ . (٢) تاريخ الطبرى ، ٢٩٧/٢ . (٣) الطبقات الكبرى ، ١٢٧/١

وبسنده إلى عامر بن ربيعة قال : سمعت زيد بن عمرو بن نُفيل يقول : أنا أنتظر نبياً من لد إسماعيل ثم من بنى عبد المطلب ، ولا أرانى أدركه ، وأنا أؤمن به وأصدقه وأشهد أنه نبى ، فإن طالت بك مدّة فرأيته فأقرئه منى السلام ، وسأخبرك ما نعتهُ حتى لا يخفى عليك ، **قلتُ** : هلم ! **قال** : هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليست تفارق عينيه حمرة وخاتم النبوة بين كتفيه ، واسمه أحمد ، وهذا البلد مولده ومبعثه ثم يُخرجه قومه منه ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمره ، فإياك أن تُخدع عنه فإنى طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم ، فكل من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون هذا الدين وراءك ، وينعتونه مثل ما نعته لك ويقولون لم يبق نبىّ غيره ، **قال عامر بن ربيعة :** فلما أسلمتُ أخبرتُ رسول الله ﷺ قول زيد بن عمرو وأقرأته منه السلام ، فردّ عليه السلام ورحّم عليه وقال " قد رأيتُهُ فى الجنة يسحبُ ذيولاً "[1][2] .

وروى ابن سعد بسنده إلى عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال : قال زيد بن عمرو بن نفيل : شاممت النصرانية واليهودية فكرهتهما فكنتُ بالشام وما والاه حتى أتيت راهباً فى صومعة ، فوقفت عليه ، فذكرتُ له اغترابى عن قومى وكراهتى عبادة الأوثان واليهودية والنصرانية، **فقال لى:** أراك تُريد دين إبراهيم يا أخا أهل مكة إنك لتطلب ديناً ما يؤخذ اليوم به ، وهو دين أبيك إبراهيم ، كان حنيفاً لم يكن يهودياً ولا نصرانياً كان يصلى ويسجد إلى هذا البيت الذى ببلادك ، فالحق ببلدك فإن نبياً يُبعثُ من قومك فى بلدك يأتى بدين إبراهيم بالحنيفية وهو

---

(١) الطبقات الكبرى ، ١٢٨/١ . (٢) تاريخ الطبرى ، ٢٩٥/٢ .

أكرم الخلق على الله[١] .

وروى ابن سعد بسنده عن حرام بن عثمان الأنصارى قال : قدم أسعد بن زُرارة من الشام تاجراً فى أربعين رجلاً من قومه ، فرأى رؤيا أن آتياً أتاه **فقال :** إن نبياً يخرج بأهل مكة يأبا أمامة فاتّبعه ، وآية ذلك أنكم تنزلون منزلاً فيُصاب أصحابك فتنجو أنت وفلان يُطعن فى عَيْنه ، فنزلوا منزلاً فبيّتهم الطاعون فأصيبوا جميعاً غير أبى أمامة وصاحب له طعن فى عينه[٢] .

وروى ابن سعد بسنده عن ابن عباس قال : حَضَرتْ عصابةٌ من اليهود يعنى رسول الله ﷺ يوماً فقالوا : يا أبا القاسم حدّثنا عن خلالٍ نسألُك عنهن لا يعلمهن إلا نبى ، **قال :** " سلونى عما شئتم ولكن اجعلوا لى ذمَّة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئاً فعرفتموه لتُبايُعنى على الإسلام " ، **قالوا :** فذلك لك ، **قال :** " فسلونى عما شئتم " ، **قالوا :** أخبرنا عن أربع خلالٍ نسألك عنهن ، أخبرنا أىّ طعام حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، وأخبرنا كيف ماء المرأة من ماء الرجل ، وكيف يكون الذكر منه ، وكيف تكون الأنثى ، وأخبرنا كيف هذا النبى الأمى فى النوم ومن وليّه من الملائكة ، **قال :** " فعليكم عهد الله لئن أنا أخبرتكم لتبايعنى " فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق ، **قال :** " فأنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل ــ يعقوب ــ مرض مرضاً شديداً وطال سقمهُ منه فنذر لله نذراً لئن شفاه الله من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه ، وأحب الطعام إليه ، فكان أحب الطعام إليه لُحمان الإبل ، وأحب الشراب إليه ألبانُها ؟ " **قالوا :** اللهم نعم ، **قال :** " اللهم اشهد عليهم "، **قال:**

---

(١) الطبقات الكبرى ، ١٢٩/١ . (٢) الطبقات الكبرى ، ١٣١/١ .

" فأنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ وأن ماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا كان له الولدُ والشبه بإذن الله ، وإن علا ماء الرجل على ماء المرأة كان ذكراً بإذن الله ، وإن علا ماء المرأة على ماء الرجل كان أنثى بإذن الله ؟ **قالوا** : اللهم نعم ، **قال** : " اللهم اشهد عليهم " ، **قال** : فأنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبى الأمى تنام عيناهُ ولا ينام قلبُهُ ؟ " **قالوا**: اللهم نعم ، **قال** : " اللهم اشهد عليهم " ، **قالوا** : أنت الآن فحدثنا من وليّك من الملائكة فعندها نجامعُك أو نفارقُك ، **قال** : فإن وليىّ جبريل ولم يبعث نبى قط إلا هو وليهُ " ، **قالوا** : فعندها نفارقك ، ولو كان وليك سواه من الملائكة لتابعناك وصدقناك ، **قال** : " فما يمنعكم من أن تصدقوه ؟ " **قالوا** : إنه عدونا ، فعند ذلك قال الله جل ثناؤه (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مُصدقاً لما بين يديه وهدىً وبشرى للمؤمنين* من كان عدواً لله وملائكتهِ ورُسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين)[١] فعند ذلك باؤوا بغضبٍ على غضب[٢] .

(١) سورة البقرة ، آية رقم {٩٧ ، ٩٨} .
(٢) الطبقات الكبرى ، ١/١٣٨ .

١٩- إثبات نبوته ﷺ من التوراة والإنجيل الموجودة بين يدى النصارى واليهود اليوم

نبينا محمد ﷺ هو سيد الأنبياء ، وإمام المتقين ، والله عز وجل قد أخذ العهد والميثاق على النبيين جميعاً بنصرته والإيمان به ﷺ عند مبعثه ، وجعلهم يقرون بذلك ، وأشهدهم على أنفسهم أنهم قالوا ذلك فشهدوا وأشهد عليهم ملائكته ثم هو شهد عليهم وأنه عز وجل من الشاهدين لنبوته ﷺ وهو خير الشاهدين على شهادة الأنبياء والمرسلين يقول الله عز وجل (وإذ أخذ اللهُ ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسولٌ مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصُرُنَّهُ قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين)[1] ، ومن المعلوم أن الأنبياء لن يكونوا زمن بعثته بل أتباعهم وبالتالى فهم قد أخذوا العهود والميثاق على أتباعهم وذكروا ذلك فى كتبهم ، وبما أنزل الله عليهم فى كتبهم حتى يكونوا قد وفوا بالأمانة وأقاموا العهد الذى كلفهم به ربهم ، وحاشا لله أن يكذبوا أو يغشوا أو يُقصروا فيم كُلفوا به من أمانة التبليغ ، وإنما الغش والتقصير والتحريف والتغيير إنما جاء من الاتباع ، ومع هذا فإن التوراة بما فيها من تحريف وتبديل ، والمزامير بما فيها من تغيير ، وكذا الأناجيل بما فيها من تحريف وتغيير وتضليل لم يستطع هؤلاء الأتباع إماتة تلك الحقيقة ، وإن حاولوا تحريف التراجم وتضليل الأقوال وجعلها تحتمل أكثر من وجه ، هذا دأبهم حيث إنهم لهم فى كل فترة من الزمن ترجمة جديدة يضعونها غير التى سبقت بأسلوب

(١) سورة آل عمران ، آية رقم {٨١} .

مختلف ، وتحوير جديد ، وما يُقدمون على ذلك إلا عندما يقوم علماء الإسلام بكشف الحقائق وبيان نبوته ﷺ من تراجمهم ، فيلجأون إلى ذلك ، ولذلك فإن علماء الإسلام قد ردوا عليهم بردود تناسب تراجمهم فى تلك العصور الخوالى ، ومنذ بدأ الإسلام والحوار بين الإسلام وبين أهل الكتاب قائم ، ولكنهم يلجأون إلى تغيير العبارات وتحويرها وتحريفها فإذا جاء متأخر ليرد عليهم بنص كتبهم تصيبه بعض الحيرة ، حيث إن النص بدل وتغير بنص آخر حتى يحير القارئ المسلم فى الكتاب الذى كتبه العالم المسلم فى الزمن الماضى فى الترجمة التى قدموها يومها ، وبالتالى تضعف فى نظرهم حجة المحتج عليهم من علماء المسلمين ولكن سرعان ما تنكشف الحقيقة ويتضح البرهان ، حيث نجد النص وإن تحوّر ففى فحواه فى هذه النصوص التى تخص نبوة نبينا محمد لم يتغير ، وصدق الله العظيم حيث قال **فى القرآن الكريم** :(الذين يتبعون الرسول النبىّ الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمُرُهُمْ بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحلُّ لهُمُ الطيبات ويُحرّم عليهمُ الخبائث ويضع عنه إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصرُوه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون)[1] ، وهذه الآية القرآنية معجزة فى ذاتها لأنها من القرآن ثم أعطت لنا معجزة أخرى ألا وهى أنها أكدت على بقاء صفة نبينا فى توراتهم وأناجيلهم وإن حرفوها حيث إنهم لا يستطيعون إلغائها أو حذفها ، فهى قائمة فى صدورهم وحجة عليهم وإن أبوْها ولا يقدرون على حذفها كما لم يقدر أبى لهب على الإسلام وكان فى مقدوره أن يُسلم وكان فى مقدوره أن يهدم دين

---

(١) سورة الأعراف ، آية رقم {١٥٧} .

الإسلام بأن يشهد أن لا إله إلا الله ولكن الله تحداه فى أن يقولها وأنزل فيه (تبت يدا أبى لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى ناراً ذات لهب * وامرأته حمالة الحطب * فى جيدها جبل من مسد) ، وهى من أوائل سور القرآن نزولاً ، فلو أنه أسلم ، وقال بعدها للرسول أنا آمنت فيكف أصلى ناراً ذات لهب ؟ لأُسقط فى يد الرسول ﷺ ولهدَمت النبوة ، ولكن الله تحداه أن يُسلم ، وأثبت أنه لن يُسلم وأمّن عليها أبو لهب فلم يُسلم وثبتت حجةُ الله أنه حقت كلمةُ العذاب على الكافرين ، وكذا الحل والشأن مع أهل التوراة والإنجيل تحداهم أن يحذفوا تلك الفقرات التى تذكر نبينا ﷺ ، تحداهم فلم يستطيعوا ، ومن نظر فى الآية السابقة والآية التى قبلها نجد أن القصة التى فى التوراة وما حدث فيها من أمور هى عينها المذكورة فى القرآن والفارق أن الله يذكر لموسى ليعلم قومه أنه سيبعث نبياً لهم من إخوتهم – بنى إسماعيل – وسيجعل كلامه

عز وجل فيه فمه – القرآن الكريم – ثم يحث على اتباعه والإيمان بما جاء به ،

وهذا نص التوراة ثم نردفه بنص القرآن :

التوراة السامرية فى سفر التثنية الإصحاح العشرون[1] نص "وكل الشعب سمع الأصوات وصوت البوق ، ونظروا الشهب والجبلُ دخاناً ونظر كل القوم وتشردوا ووقفوا من بُعد ، وقالوا لموسى إن أرانا الله إلهنا جلاله وعظمته وصوته سمعنا من وسط النار اليوم هذا نظرنا أن يخاطب الله الإنسان فيحيا ، والآن كى لا نموت ، إذ تحرقنا النار العظيمة هذه إن معاودين نحن إلى سماع صوت إلهنا متنا ، ألا من كل البشر سمع صوت الله الحى مخاطباً من وسط

(١) التوراة السامرية ، صـ١٤٥ .

النارمثلنا فعاش ؟ أُدن أنت واسمع كل ما يقول الله إلنها وأنت تخاطبنا بكل ما يخاطب الله إلهنا لك نسمع ونتمثل ولا يخاطبنا الله كى لا نهلك ، **فقال موسى للقوم** : لا تخافوا إن بسبب امتحانكم جاءت ملائكة الله ، وحتى تكون مخافته على وجوهكم كى لا تخطئوا ووقف القوم من بُعد وموسى دنا إلى الضباب الذى هناك ملائكة الله .

وخاطب الله موسى قائلاً : سمعت صوت خطاب الشعب هذا الذى خاطبوك أحسنوا فى كل ما قالوا : يا ليت يبقى ضميرهم هذا لهم مخافة منى وحفظاً لوصاياى كل الأيام حتى يحسن إليهم و إلى نبيهم إلى الأبد : نبياً أقمتُ لهم من جملة إخوتهم مثلك وجعلت خطابى بفمه فيخاطبهم بكل ما أوصيه ويكون الرجل الذى لا يسمع من خطابه الذى يخاطب باسمى أنا أطالبه .

وفى التوراة العبرانية (الكتاب المقدس) الموجودة مع النصارى الآن تقول التوراة **فى سفر** التثنية الإصحاح الثامن عشر[1] **النص الآتى** :

" يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون ، حسب كل ما طلبتَ من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلاً : لا أعود أسمع صوت الرب إلهى ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت ، قال لى الرب قد أحسنوا فيما تكلّموا : أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه " .

وشرح هذا الكلام مختصراً : أنهم حضروا اللقاء بين موسى وربه ويبدوا

---

(١) الكتاب المقدس ، صـ٢٥٨ .

أنهم كانوا يريدون هذا اللقاء للسماع ورؤية الله كما طلبوا من موسى، فاختار موسى منهم جماعة لحضور اللقاء إن قدروا عليه فلما رأوا النار والشهب والدخان واهتزاز الجبل خوفاً من جلال الله تفرقوا ، **وقالوا** : أدن أنت فاسمع فإنا لا نقدر على السماع وحضور اللقاء ، وما تأتى به من علم وعمل سنقوم به حيث ليس كل إنسان يستطيع أو عنده القدرة على سماع كلام الله مباشرة وفى وسط النار والدخان وهذا التجلى المُخَوِّف للجبل ذاته ، ووقف القوم ودنا موسى إلى الضباب للمخاطبة ، وكان السبب فى حضورهم امتحانهم وتخويفهم حتى لا يخطئوا ، وعندما دخل موسى فى الضباب خاطبه الله مخبراً بسماعه صوت خطاب شعب إسرائيل ، وأنهم أحسنوا فى طلبهم فى أن موسى يسمع كلام الله ثم يبلغهم بما سمع ، ثم أخبر الله موسى بأنه سيقيم لهم ولغيرهم من أهل الأرض نبياً مثل موسى ، وسيكون من ولد إسماعيل، وأنه سيجعل خطابه عز وجل فى فمه -والمقصود به القرآن الكريم- وأنه سيكون محفوظاً فى الصدور متلواً على الألسنة والأفواه بخلاف التوراه وغيرها حيث ليس لديهم قدرة على حفظها ، وليست فيها هى ولا الإنجيل خاصية الحفظ فى الصدور وجمال الترتيل على اللسان وقد صدق الله إذا يقول(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[١] **وقوله** (ورتل القرآن ترتيلا)[٢] وأنه أمين على ما يوحى إليه ولا يغيره ولا يبدله ولا يخفى منه شيئاً حيث **يقول تعالى** (ولو تقول علينا بعض الأقاويل* لأخذنا منه باليمين*ثم لقطعنا منه الوتين*فما منكم من أحد عنه حاجزين)[٣] **وقوله** (وما هو على الغيب بضنين) **وقوله** (وإذا تُتلى عليهم آيتنا بينات قال الذين لا يرجون

---

(١) سورة الحجر ، آية رقم {٩} . (٢) سورة المزمل ، آية رقم {٤} . (٣) سورة الحاقة ، الآيات رقم {٤٤-٤٧}

لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاءِ نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلىّ إنى أخاف إن عصيتُ ربى عذاب يوم عظيم * قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثتُ فيكم
عمراً من قبله أفلا تعقلون * فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يُفلح المجرمون)[١] .

ولذا ذكر فى التوراة : " فيخاطبهم بكل ما أوصيه به ، ويكون الرجل الذى لا يسمع من خطابه الذى يخاطب باسمى أنا أطالبه " أى أن الذى لا يؤمن به ولا يسمع له ، الله يطالبه أى يحاسبه على عدم الإيمان به والأخذ بما جاء به هذا النبى يستوى فى ذلك اليهودى وغيره حيث إنه يقيم هذا النبى لكل الناس ، وبالتالى سوف تلغى شريعة موسى أيضاً .
فإن قال قائل: هذا النبى من بنى إسرائيل نرد عليه بأن الكتاب المقدس أخبر بأن " لا يقوم أيضاً نبى فى إسرائيل كموسى الذى ناجاه الله شفاهاً فى جميع الآيات والمعجزات "[٢] .

وفى التورة العبرية (الكتاب المقدس) التى مع النصارى اليوم " ولم يقيم بَعْدُ نبى فى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجهاً لوجه فى جميع الآيات والعجائب[٣] ... إلخ .

ثم إن النص قال " من وسط إخواتهم مثلك — أى من أبناء إسماعيل "
وعلى ما سوف نذكر من الدلائل الأخرى، والآن نعود إلى نص القرآن فى

. (١) سورة يونس ، الآيات {١٥ ، ١٦ ، ١٧} . (٢) التوراه السامرية ، صـــ ٢٤٢ . (٣) التوراه العبرية ، الكتاب المقدس ، صـــ ٢٨٢ .

سورة الأعراف ليحكى لنا بجلاله هذا الحديث والحوار ولكنه حديث القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يقول القرآن كريم (واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفةُ قال رب لو شئت أهلكتهم من قبلُ وإياى أتهلكنُا بما فعل السفهاءُ منّا إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين * واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحل لهم الطيبات ويُحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون)(١) .

وهذا الذى ذكرته من التوراة فى شأن رسول الله ﷺ ذكره بطرس لهم ففى الإصحاح الثالث فى أعمال الرسل فإن موسى قال للآباء " إن نبياً مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم ، له تسمعون فى كل ما يكلمكم به ، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبىُ تباد من الشعب "(٢) مع ملاحظة "لىّ" النصوص قبل وبعد لتؤل على المسيح .**ومن ذلك أيضاً : فى سفر التثنية** فى الإصحاح الثالث والثلاثون(٣) "وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته فقال : جاء الربُ من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبال فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم ، فأحب الشعب جميع قديسيه فى يدك ،

---

(١) سورة الأعراف ، الآيات {١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧} . (٢) العهد الجديد أعمال الرسل ، صـــ٢٣ . (٣) العهد القديم ، صـــ٢٨٠ العبرانى .

وهم جالسون عند قدمك يتقبّلون من أقوالك " .

وفى التوراة السامرية : وهذه البركة التى بارك موسى رسول ﷺ بنى إسرائيل قبل وفاته **فقال** : " الله من سينين أتى ، وأشرق من الشعر ، ولهم لمع من جبل فاران ، ومعه من ربوات القدس ، وعن يمينه نار شريعة لهم ، أيضاً محب الشعوب ، وكل أقداس أقداسه بيدك وهم يخضعون لرجليك ويتحملون من أقوالك "

ويتلخص شرح ذلك فى الآتى :

١- **فالإتيان من جبل طور سينين** " سيناء " إشارة إلى شريعة موسى عليه السلام .

٢- **والإشراق من الشعر** " جبل ساعير " إشارة إلى علماء بنى إسرائيل ومنهم عيسى عليه السلام الذى اصطفاه الله نبياً ، وكانوا كلهم على شريعة موسى لم ينقضوا منها أى حكم ولم ينسخوا إلا ماكان من عيسى عليه السلام من بعض التخفيف (ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم).

٣- **وتلألأ من جبال فاران** - " ولهم لمع من جبل فاران : إشارة إلى مكة المكرمة لأنها سكنى إسماعيل عليه السلام وبنيه ، وله بركة ، فقد قال الله عنه لإبراهيم " وفى إسماعيل استجبت منك هوذا باركته ، وأثمره وأكثره جداً جداً اثنى عشر رئيساً يلد وسأجعله شعباً عظيماً[(١)] - ولا يشك فى أن الشعب العظيم هو محمد ﷺ وأمته إذ لم يكن فى ولد إسماعيل أعظم منه .واستعلانه ، ولمعانه وتلألئه من جبال " فاران " : أن الله تعالى بعث منها محمداً ﷺ وأوحى إليه فيها ، ولاختلاف : أن " فاران " هى " مكة "

---

(١) سفر التكوين ١٧ : ٢٠ .

وقد قال فى التوراة : " إن الله أسكن هاجر وابنها إسماعيل فاران " ، وهذا نص التوراة السامرية فى أن الله أسكن هاجر وابنها إسماعيل برية فاران " مكة " وأنه انبع بئر الماء " زمزم " لها ولوليدها وأن الملاك بشرها بأن إسماعيل سيجعل الله منه شعباً عظيماً ، " ونادى ملاك الله إلى هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر؟ لا تخافى إن سمع الله صوت الفتى من حيث هو هناك ، قومى واحملى الفتى وشدى يدك به ، إن شعباً كبيراً سأجعله ، وجلىّ الله بصرها فنظرت بئر ماء ، وذهبت وملأت المزادة ماء وسقت الفتى ، فكان الله مع الفتى وكبر وسكن فى البرية وكان شديد القوس ، وسكن فى برية فاران "[١] ، **وفى التوراة العبرية** : ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر؟ لا تخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو ، قومى احملى الغلام وشدّى يدكِ بهِ سأجعلهُ أمّةً عظيمة ، وفتح الله عينها فأبصرت بئر ماء ، فذهبت وملأت القربة ماءً وسقت الغلام، وكان الله مع الغلام فكبر ، وسكن فى البرية وكان ينمو رامى قوسٍ ، وسكن فى برية فاران "[٢] .

٤- **ومعه من ربوات القدس :** أى مع النبى المنتظر من فاران جماعات من الصحابة الأطهار .

٥- **وعن يمينه نار شريعة لهم :** أى سيكون النبى المنتظر صاحب شريعة مثل موسى وسيكون محارباً ومنتصراً مثله .

٦- **أيضاً محب الشعوب** " فأحب الشعب " أى أنه رؤف رحيم ويحب الجميع ويتمنى للجميع الإسلام والسلام وصدق الله إذ يقول (لقد جاء

---

(١) التوراة السامرية ، صـــ ٦١ . (٢) الكتاب المقدس ، صـــ ٢٥ .

كم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم)[١] .

٧- **وكل أقداس أقداسه بيدك** : أى جميع العلماء الأمناء والطاهرين لا يخرجون على أصول الشريعة الإسلامية .

٨- **وهم يخضعون لرجليك** : أى لا يشرعون للناس بغير ما شرعه رسول الله ﷺ .

٩- **ويتحملون من أقوالك** : أى يستنبطون من القرآن الكريم ما يحل مشكلات البشر " جميع قديسيه فى يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أوقوالك " .

وقد ذكر اسم محمد ﷺ فى التوراة فقد سبق أنَ ذكرت فى رقم " ٣ " أن الله قال لإبراهيم " وفى إسماعيل استجبتُ منك هوذا باركته ، وأثمره وأكثره **جداً جداً** ، اثنى عشر رئيساً يلد ، وسأجعله شعباً عظيماً "[٢] ، فأما قوله " جداً جداً " فهو بتلك اللغة " بماد ماد " **وعدد هذه الحروف** : اثنان وتسعون وذلك بحساب الجُمَّل حيث إن الباء عندهم : اثنان ، **والميم** : أربعون ، **والألف** : واحد ، **والدال** : أربعة ، **والميم الثانية** : أربعون ، **والألف** : واحد ، **والدال** : أربعة ، **وكذلك الميم من محمد** : أربعون ، **والحاء** : ثمانية ، **والميم** : أربعون، **والدال** : أربعة ، فيكون المجموع اثنان وتسعون . وكذلك " شعباً عظيماً " فهو بتلك اللغة " لغوى غدول " فاللام عندهم: ثلاثون ، والغين ، ثلاثة ، وهى عندهم مقام الجيم إذ ليس فى لغتهم: جيم ولا ضاد ، **والواو** : ستة ، **والياء** : عشرة ، **والغين أيضاً** :

. (١) سورة التوبة ، آية رقم {١٢٨} . (٢) سفر التكوين " ١٧ : ٢٠ "

ثلاثة ، والدال : أربعة ، والواو : ستة، واللام : ثلاثون فمجموع هذه أيضاً : اثنان وتسعون وهى الإشارة إلى اسم محمد صريحة وقد وضح ذلك فى الترجمة السامرية للتوراة ، أما التوراة العبرية فحرّفوا ليضيعوا المعالم وإليك النص من التوراة العبرية لترى الفرق فى التحريف والتضليل " وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه ، وأثمره وأكثره كثيراً جداً ، اثنى عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة "[1] ، فانظر مدى التغير والتغرير لإضاعة الحقيقة ، مع إن كثيراً من علماء اليهود السامريين والعبرانيين قالوا : إن كاتب التوراة قد وضع " بماد ماد " و " لغوى غدول " " لجوى جدول " فى سياق بركة إسماعيل لتدل كل كلمة منهما على اسم النبى الآتى من إسماعيل للبركة بحساب الجمل ، أى إذا أتى من آل إسماعيل من يدعى النبوة يقارنون اسمه على " بماد ماد " أو " لجوى جدول " فإذا وجدوا اسمه مساوياً بحساب الجمل لحساب " بماد ماد أو لجوى جدول " يعرفون أنه النبى المنتظر من آل إسماعيل .

وفى زمن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام قال بنو إسرائيل إن النبى الذى نبه الله على مجيئه بقوله " نبياً أقمت لهم من جملة إخوتهم مثلك وجعلت خطابى بفمه فيخاطبهم بكل ما أوصيه " لم يأت بعد، واعترف النبى يحيى بن النبى زكرياً بأنه ليس هو لما سأله علماء من بنى إسرائيل عنه ،

ففى إنجيل يوحنا : أن وفداً من علماء بنى إسرائيل ذهب إلى يحيى " يوحنا المعمدان " وسألوه عن نفسه ، وأجاب بالحق وهذه نص شهادته " وهذه هى شهادة

---

(١) الكتاب المقدس ، صــ ٢٠ ، سفر التكوين ، الإصحاح ١٧ .

يوحنا إذ أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسأولوه : من أنت؟ فاعترف ولم ينكر واعترف أنى لست المسيح ، فسألوه : إذن ماذا ؟ أإيليا أنت ؟ **فقال :** لست إياه ، ألنبى أنت أجاب : كلا[١] .

لقد أنكر أنه هو النبى الذى أخبر عنه موسى ، وقد كان معاصراً للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام الذى لم يؤثر عنه الاعتراف بأنه هو ، وعلى شهادته هذه يكون هذا النبى من بعدهما آت وحيث الأوصاف منطبقة على نبى الإسلام ﷺ وهو من نسل إسماعيل المبارك من الله ، فإنه يكون هو المراد .

وقد تطابقت نبوءة التوراة " نبياً أقمت لهم من جملة إخوتهم مثلك ...إلخ ونبوءة الإنجيل " ألنبى أنت ؟ **أجاب :** كلا مع القرآن الكريم فى قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل)[٢] ، وقوله تعالى (إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً)[٣] .

ومن قرأ فى سفر **أشعيا الإصحاح الثانى والأربعين :** فسوف يرى صفات النبى محمد ﷺ واضحة تامة ولنذكره ثم لنعلق عليه حيث يقول الله فيه حسب ترجمتهم " هو ذا عبدى الذى أعضده ، مختارى الذى سُرَّت به نفسى ، وضعتُ روحى عليه فيخرج الحقَّ للأمم ، لا يصيح ، ولا يرفع ولا يُسمع فى الشارع صوته ، قصبةً مرضوضةً لا يقصف ، وفتيلة خامدة لا يُطفئ ، إلى الأمان يُخرج الحق ، لا يكلُّ ولا ينكسرُ حتى يضع الحق فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعتهُ . هكذا يقول الله الرب خالق السماوات وناشرها باسط الأرض ونتائجها معطى الشعب

(١) إنجيل يوحنا ، ١ : ١٩-٩ . (٢) الأعراف ، آية {١٥٧} . (٣) المزمل ، آية {١٥} .

عليها نسمة والساكنين فيها روحاً أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك ، وأحفظك واجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم ، لِتُفتِح عيون العمى ، لتُخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين فى الظلمة . أنا الرب هذا اسمى ومجدى لا أعطيه لآخر ولا تسبيحى للمنحوتات ، هو ذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبرٌ بها ، قبل أن تنبت أعلمكم بها ، غنوا للرب أغنية جديدةً ، تسبيحهُ من أقصى الأرض ، أيها المنحدرون فى البحر وملؤه والجزائر وسكانها ، لترفع البرية ومدنها صوتها ، الديار التى سكنها قيدار لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا ، ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر ، الرب كالجبار يخرج ، كرجل حروب يُنهض غَيرتَه ، يهتفُ ويصرخ ويقوى على أعدائه . قد صمتُ منذ الدهر سكتُ تجلّدتُ ، كالوالدة أصيح ، انفخ وانخر معاً، أُخرب الجبال والآكام ، وأجفف كلَّ عُشبها واجعل الأنهار يبساً ، وأنشف الآجام، وأسيّر العُمى فى طريق لم يعرفوها، فى مسالك لم يدروها أمشّيهم، اجعل الظلمة أمامهم نوراً ، والمعوجَّات مستقيمة ، هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم ، قد ارتدُّوا إلى الوراء ، يخزى خزياً المتكلمون على المنحوتات القائلون للمسبوكات أنتُنَّ آلهتنا أيها الصمُّ اسمعوا ، أيها العمى انظروا لتبصروا . من هو أعمى إلا عبدى وأصم كرسولى الذى أُرسله ، من هو أعمى كالكامل، واعمى كعبد الرب، ناظرٌ كثيراً ولا تلاحظ، مفتوح الأذنين ولا يسمع ، الرب قد سُرَّ من أجل برّه ، يُعظّم الشريعة ويكرمها ، ولكنه شعب منهوب ومسلوب قد اصطيد فى الحفر كلُّهُ ، وفى

بيوت الحبوس اختبأوا صاروا نهباً ، ولا منقذ ، وسلباً وليس مَنْ يقول رُدَّ "[١] .

وفى الإصحاح الثالث والأربعين يقول: "لا تذكروا الأوليات والقديمات لا تتأملوا، هاأنا ذا صانعٌ أمراً جديداً ، الآن ينبت ، ألا تعرفونه ، اجعل فى البرية طريقاً فى القفر أنهاراً ، يمجدنى حيوان الصحراء ، الذئاب وبنات النعام لأنى جعلتُ فى البرية ماءً أنهاراً فى القفر لأسقى شعبى مختارى ، هذا الشعب جبلته لنفسى يحدّث بتسبيحى "[٢] .

الشرح بإيجاز

١- **هو ذا عبدى الذى أعضده** مختارى الذى سُرت به نفسى **المقصود به** سيدنا محمد الذى اختاره الله لرسالته وسرت به روحه عز وجل .

٢- **وضعتُ روحى عليه فيخرج الحقّ للأمم** : المقصود من ذلك إنزاله كتابه عليه بواسطة الأمين جبريل " نزل به الروح الأمين " ، " فيخرج الحق للأمم " لأنه ﷺ **(لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى)** وللأمم لأنه أرسل للناس كافة أما موسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء فقد أرسلوا إلى أقوامهم خاصة .

٣- **لا يصيح ولا يرفع ولا يُسمع فى الشارع صوته** : هكذا كان شأنه ﷺ ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق ، ولقد أنزل الله عليه حديث لقمان لابنه ومنه (واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) .

٤- **قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ** : كناية عن كمالاته

---

(١) العهد القديم ، صـ٨٩٥ . (٢) العهد القديم ، صـ٨٩٧ .

فى أنه لا يأمر بتخريب ، ولا تكسير ولا أذى .

٥- **إلى الأمان يُخرج الحق** : أى أنه دينه دين الأمان والسلام لا الغدر والخسة والخيانة ، وأنه لا يعرف فى الحق لومة لائم .

٦- **لا يكلُّ ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعته:** هكذا كان ﷺ لم يهدأ له بال ولم ينم له جفن حتى أظهر جلال هذا الدين وأبرز معالمه، وقالها واضحة جلية عندما طلب منه قومه :أن يطلب ما يريد مالاً وملكاً وعلاجاً إن كان مريضاً فقالها صريحة مدوية" والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى حتى أترك هذا الأمر ما تركته حتى يُظهره الله أو أهلِك دونه " ، فنصره الله ورفعه وأعلى قدره فلم يكل ولم يمل ولم ينكسر بل كسر أعداؤه فأين هو ؟ وأين هم ؟ ولمن صارت الغلبة أبد الدهر ، لم يصبح لهم ذكراً ولا أثراً سوى اللعن إنْ قرأ ت سيرتهم ، وتَخَلّى عنهم أبناؤهم فى الدنيا فآمنوا به ﷺ وتركوهم ، ثم هم فى الآخرة إلى مصير محتوم جهنم وبئس القرار .

وقوله " تنظر الجزائر شريعته " كناية عن انتشار شريعته فى البر وفى البحر فالذين يسكنون الجزر مثلهم مثل أهل البر فى الإيمان به والاعتراف بفضله ودوام الصلاة عليه ﷺ .

٧- **هكذا يقول الله الرب خالق السماوات وناشرها ، باسط الأرض ونتائجها معطى الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحاً** : وهو كما قال عز وجل ونعترف له بالخلق والإيجاد .

٨- **أنا الرب قد دعوتك .بالبر فأمسكُ بيدك واحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم لتفتح عيون العمى ، لتُخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين فى الظلمة** أى أن الله هو الذى أرسله بالبر والرحمة وأنه هو حافظه وراعيه وأخذه بيده (فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) ، (والله يعصمك من الناس) وأن الله جاعله عهداً بينه وبين الناس وأن من آمن به فقد وجب له الخير (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ، وأن الله جاعله نوراً للأمم (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً) ، وبنوره وما جاء به من ربه فتحت العيون (هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين)[١] .

وقوله: لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين فى الظلمة : إنما هو إشارة لمن يعيشون فى الجهل وعدم المعرفة المحبوسين عن معرفة الخير والحق والعدل والجمال ، وكذلك الحال من هم أسرى الكبراء والعظماء فى الباطل والضلال (وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلونا السبيلا)[٢] ، (ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استُضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين* قال الذين

---

(١) سورة الجمعة ، آية {٢} .   (٢) سورة الأحزاب ، آية {٦٧} .

استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين* وقال الذين استضعفوا بل مكرُ الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) ، وهو شأن الضعفاء الذين هم فى أسر الكبراء والعظماء من أصحاب المصالح أو الديانات الأخرى ، فجاء الإسلام ليرفع أيدى الظالمين عن المظلومين ويجعل المسألة حرية واختيار لا إكراهاً وإجباراً فلا إكراه فى الدين ، وحذر من عدم الاغترار بالذين يلبسون ملابس رجال الدين وهم فى الحقيقة من الضالين فقال (يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله)[1] .

٩- أنا الرب هذا اسمى ومجدى لا أعطيه لآخر ولا تسبيحى للمنحوتات :

يشير الحق إلى مهمة النبى محمد وهو إعلاء التمجيد والتسبيح له وحده وأن الله لا يقبل فى ملكه شريك ، فكيف إذن تؤله المنحوتات "الأصنام" ويستغفر عندها ويُسبح لها ويقول عابدوها (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) .

١٠- هو ذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها، قبل أن تنبت أعلمكم بها : إشارة إلى العودة إلى الدين الحق بعد الشتات وعبادة الأصنام وغيرها ، وسوف ينزل كلامه لبيان الأحكام والحلال والحرام ، وأنه

---

(١) سورة التوبة ، آية رقم {٣٤} .

سبحانه لا يغفل عن خلقه ، وهو العليم الخبير والعليم بما فى الصدور ، وأنه يعلم السر وأخفى .

١١- **غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحة من أقصى الأرض :** إشارة إلى الصلاة الجديدة والشريعة الجديدة ، وإلى الحج والعمرة والتلبية والتكبير لله والتسبيح له من أقصى الأرض (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من فج عميق * ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) .

١٢- **أيها المنحدرون فى البحر وملؤه والجزائر وسكانها لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التى سكنها " قيدار " لتترنم سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا ، ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر :** أى أيها المنحدرون صوب مكة للحج والعمرة عن طريق البحر والبر وأنتم متجهون صوب ديار " قيدار" وقيدار من أبناء إسماعيل بالطبع كان يسكن مكة أعلوا بصوتكم بالتكبير والتهليل " لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك " لتترنم سالع جبال حول مكة " من رؤوس الجبال ليهتفوا " كناية عمن يأتون من كل فج عميق قاطعين الفيافى والقفار ، وكذلك " من رؤوس الجبال ليهتفوا " إشارة لمن يأتون للحج بالطائرات حيث أن الارتفاع أعلى وأحياناً فى مستوى رؤوس الجبال وكله كناية عن طلبه عز وجل أن يُسبح له ، ويُلبى له فى البر والبحر والجو بصوت مرتفع " ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسبيحه بالجزائر " أى ليسمع الجميع صوته حتى من يسكن

الجزر فى الماء ، وهو كناية عن إعلان الولاء لله وإعلان التمجيد له والتلبية له فى مكة حيث الحج والعمرة والجبال الكثيرة المنتشرة ليترنم الجميع بذكر الله والتمجيد والتسبيح له ، ويكون ذلك بقوة وهمة لا عن خوار وضعف فالله يحب من يخرج لهذا الأمر يكون كالجبار الخارج ليقهر الأعداء فليهتف وليصرخ ويقوى على أعداءه أى من غير المسلمين ، وكذلك من نفسه ومن شيطانه ولن يكون ذلك إلا بشرعة ولد إسماعيل وحفيده وحفيد ولده قيدار محمد ﷺ .

١٣- **ثم يتحدث على أنه** "سيجعل الظلمة أمامهم نوراً والمعوجات مستقيمة، هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم ، قد ارتدوا إلى الوراء " أى إلى طريق الحق والصواب والمقصود بذلك أمة محمد ﷺ **المهللين والمكبرين** ، والذين اتبعوا الدين الحق دين إبراهيم ، ثم يُجْزى هؤلاء الذين يعبدون الأصنام ويدحرهم ولا يجعل لهم كرامة ولا مكانة " يخزى حزياً المتكلمون على المنحوتات القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا " وبالطبع فإن بنى إسرائيل لم تعبد الأصنام حيث إن الأنبياء لم يتركوهم طرفة عين فمن كان إذا يعبدها ، وفى أى الأماكن كان ذلك؟ بالطبع فى بلد "قيدار" مكة والذين كانوا يعبدونها هم أهل مكة والعرب أولاد إسماعيل فمن إذن الذى سيغير من حالهم بإذن ربهم هو رسول منهم " هو الذى أرسل فى الأميين رسولاً منهم" والرسول هو سيد الناس محمدﷺ . **باقةى باقى**

١٤- **أيها الصم اسمعوا .. إلخ** إنما هو نداء لعمى القلوب ، ومن صموا آذانهم عن الحق " صم بكم عمى فهم لا يعقلون " .

١٥- **الرب قد سُرّ من أجل بره يعظم الشريعة ويكرمها** " أى أن الله يحب حبيبه ﷺ لبره وحبه لأتباعه ، ويحب الأتباع لأنهم يعظمون ما شرع الله فلا يتخطونه بل بما أمر يعملون وعما نهى منتهون (ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) .

١٦- **ولكنه شعب منهوب ومسلوب** قد اصطيد فى الحفر كلُّهُ وفى بيوت الحبوس اختبأوا صاروا نهباً ولا منقذ ، وسلباً وليس من يقول رُدّ " وهذا وهو حال أمة محمد ﷺ مستهدفة منهوب ثرواتها ، مسلوبة فى كثير من الأمر إرادتها ، ونصبت لهذه الأمة الشباك ووقعت فى الحفر وأصبحت صيداً فى يد من لا يرحم حتى أن لكل ما بين حبيس لأنفاسه وإحساسه وحبيس السجون لما يراه ، والكل فى حالة اختباء من كثرة الشرور ". صاروا نهباً ولا منقذ ، وسلباً وليس مَنْ يقول رُدَّ " أى ليس هناك من يقول هذا عيب هذا حرام .

ألم ينطبق كل ما مر من خير وشر علينا وعلى نبينا فلماذا هذا النجس وهذا الغدر وعدم الاعتراف بنبوته يا يهود ويا نصارى . قبحكم الله وأخزاكم وجعل جهنم مثواكم وبئس المصير ، ولتأكيد الكلام عن قيدار **فى سفر حزقيال الإصحاح** السابع والعشرون وهو يتكلم غنى مدينة صور "العرب وكل رؤساء قيدار هم تجار يدك بالخرفان والكباش والأعتده "[١] فأثبت أن المقصود فى الكلام السابق جزيرة العرب ومكة المكرمة .

وفى المزمور الثانى والسبعين : يتحدث المزمور عن سيدنا محمد بلغة واضحة وصريحة فى حين أن المترجم " النصرانى " يدعى أن الكلام وصلمملكة

المسيح فلنقرأ ليتضح المطلوب هل هو المسيح أم محمد ﷺ : " اللهم اعطى أحكامك للملك وبرك لابن الملك ، يدين شعبك بالعدل ، ومساكينك بالحق ، تحمل الجبال سلاماً للشعب والآكام بالبر ، يقضى لمساكين الشعب يخلص بنى البائسين ، ويسحق الظالم ، يخشونك ما دامت الشمس وقدام القمر إلى دور فدور ينزل مثل المطر على الجزاز ومثل الغيوث الذارفة على الأرض ، يُشرق فى أيامه الصديق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر ، ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصى الأرض ، أمامه تجثوا أهل البرية واعداؤهُ يلحسون التراب ، ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمه ، ملوك شبا وسبأ يقدمون هدية ، ويسجد له كل الملوك ، كل الأمم تتعبد له لأنه ينجىّ الفقير المستغيث والمسكين إذ لا معين له، يشفق على المسكين والبائس ويخلّص أنفس الفقراء من الظلم والخطف، يفدى أنفسهم ويُكرم دمُهم فى عينيه ويعيش ويعطيه من ذهب شبا ، ويصلى لأجله دائماً ، اليوم كله يُباركه تكون حفنةَ بُرٍّ فى الأرض فى رؤوس الجبال تتمايل مثل لبنان ثمرتها ، ويُزهرون من " المدينة " مثل عشب الأرض ، يكون اسمه إلى الدهر ، قدام الشمس يمتدُّ اسمه ، ويتباركون به كل الأمم يطوّبونهُ ، مبارك الرب الله إله إسرائيل الصانع العجائب وحدُه ، ومبارك اسم مجده إلى الدهر ، ولتمتلئ الأرض كلها من مجده آمين ثم آمين "(١) .

وخلاصة الشرح

فى البداية دعاء للملك داود وابنه سليمان ثم بعد ذلك بدأ الوصف لأمة محمد ﷺ بأنهم أمه العدل ، فهم يعتقدون فى العدل والإنصاف ، وإعطاء الحق

---

(١) العهد القديم ، الكتاب المقدس ، مزامير ٧٢ ، صــ٧٥١ .

للمساكين فلا ظلم ولا هضم حيث إن الله قال فى قرآنه : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم
للمساكين فلا ظلم ولا هضم حيث إن الله قال فى قرآنه : (إن الله يأمر بالعدل
تذكرون)[١] وقال الله آمراً نبيه وكل من آمن به (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل)[٢] ، وإذا أقيم العدل ، وأخذ المسكين حقه ، كان السلام وكان الأمان فى الأرض سهلها وجبلها ، وقوله " تحمل الجبال سلاماً للشعب " كناية عن الوحى الذى نزل عليه ﷺ فى غار حراء، وأن هذا النبى يأخذ الحق للمساكين ، "ويخلص بنى البائسين ويسحق الظالم" أليست هذه هى صفاته حيث يقول : أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً **فقالوا** : يا رسول الله هذا أخى أنصره إن كان مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ **فقال** : بالأخذ على يديه بالحق أو فى الحق ، أى بمنعه للظلم وإقامة الحق عليه والقصاص ، وهو القائل ﷺ " المسلمون تتكافأ دمائهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يدٌ على من سواهم " ، و " يسحق الظالم " أى يدوسه ولا يهابه فقد سحق كفار مكة ودق أعناقهم بل وكفار الأرض فقد أعطاه ميزة " النصر بالرعب مسيرة شهر " ، فمجرد أن يُذكر اسمه يرتعد الظالمون والمجرمون بخلاف المسيح عليه السلام ، فكان لظروفه يتفادى الشر ومع ذلك أجمعوا على قتله وغلبوا على أمره وكاد أن يُقتل لولا أن الله رفعه إليه وخلصه منهم ، وأما رسول الله محمد ﷺ فقد كان مارس الضراب ووقف مواقف الصعاب ، لا يبالى بكثرة العدد ، ولم يفرقط أمام أحد ، وما من شجاع إلا وقد

---

(١) سورة النحل .   (٢) سورة الإسراء .

أحصيت له فرة ، وإن كان له بعدها كرة ، إلا هو ﷺ فلم يُدبر قط منهزماً ولا فارق مكرهاً ملتزماً ، **وكان على بن أبى طالب يقول** : كنا إذا اشتد البأس وحميت الحرب ، اتقينا برسول الله ﷺ ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ولقد رأيتنا يوم بدر نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، **ولقد كانت الصحابة تقول** : إن الشجاع منا للذى يقوم بجانبه يستتر به ، **وقيل لأنس بن مالك** : أفررتم يوم حنين عن رسول الله ﷺ ؟ **فقال** : لكن رسول الله ﷺ لم يفر ، **ثم قال** : لقد رأيته على بغلته البيضاء و " أبو سفيان " آخذاً بلجامها والنبى ﷺ يقول :

أنــا النبـــى لا كــذب أنــا ابــن عبــد المطلــب

قيل: فما رؤى يومئذ أحد أجرأ منه ولا أشد، **وقد روى عنه: أنه** نزل عن بغلته متوجهاً نحو العدو ، **وقال العباس بن عبد المطلب** : لما التقى المسلمون والكفار يوم " حنين " ولى المسلمون مدبرين ، فطفق النبى ﷺ يركض بغلته – أى يدفعها ويحثها – نحو الكفار ، **قال العباس** : وأنا آخذ بلجامها ، أكفها إرادة ألا تسرع وأبو سفيان آخذ بركابه ، ثم نادى بالمسلمين والباقى قد سبق ذكره ، وغير ذلك من المواقف الكثير والكثير ، وبحق فهو ساحق الظالمين ، ولا يزال وسيظل يعمل لاسمه وأمته ألف حساب إلى يوم القيامة رغم ما يضرهم والأذى الواقع عليهم ، ولعل الرعب الذى حل بالأمريكان وأوربا جميعاً لخير دليل على هذا الخوف منه ﷺ ومن أتباعه على أى شكل كانوا هؤلاء الأتباع حتى وإن كانوا لا يجدون ما يأكلون ، ولا ما يلبسون فمجرد كلمة الله أكبر تصغر عندها كل ممالك الدنيا ولذا يقول المزمور " يخشونك ما دامت الشمس وقدام القمر إلى

دور فدور " أى يخشونه ﷺ بالليل والنهار ما دار الفلك الدوار إلى يوم القيامة ، فإن نزاله ونزوله فى قوته " كالمطر على الجزاز " أى الذى يأتى فى أوانه فيكون شديداً ، " ومثل الغيوث الذرافة على الأرض " وكالغيث النافع الذى ينزل على الأرض فتنتفع به ، "يُشرق فى أيامه الصديق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر، ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصى الأرض" أى أن فى أيامه ودولته القائمة إلى يوم القيامة يُشرق الصدق ويكثر السلام فى الأرض حتى يضمحل القمر أى إلى قيام الساعة ويكون ملكه ﷺ أى البلاد الإسلامية واسعة من البحر إلى البحر أليس المحيط الهندى والبحر العربى والخليج العربى والبحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلنطى أليس نهر النيل ودجله والفرات والنيل الأزرق وأنهار الجزائر التى وسط الصحراء وغيرهم وغيرهم فى مملكته ﷺ إلى أقاصى الأرض إيران وأندونسيا وباكستان وبنجلاديش وتركيا والفلبين والشيشان وكشمير والبوسنة والهرسك أليس كل ذلك مسلمين فضلاً عن الدول التى فيها نسب مرتفعة أو منخفضة ففى الصين وحدها مالا يقل عن ٨٠ مليون مسلم وأمريكا مالا يقل عن ٨ مليون وفرنسا ٦ مليون وغيرهم وغيرهم .

" أمامه تجثوا البرية " أليس الكل يعترف له بالمكانة والكرامة على مستوى العالم أجمع ؟ ألم يعترف الكل منذ زمن وبعد أحداث سبتمبرقالوا إن الإسلام دين كريم ، أليس هذا اعترافاً منهم له ﷺ وأنه لا خلاف عليه ، وأن دينه يدعوا للعدل والسلام ولذا فإن أعدائه " يلحسون التراب " فى الدنيا ذلاً وهوانا؟ ألم يُبد مملكة الفرس ؟ ألم يُبد مملكة الروم ؟ وفى الآخرة يتمنون أن يكون تراباً ؟ (ويقول

الكافر ياليتنى كنت ترابا) (يومئذ يود الذين كفروا وعصو الرسول لو تسوى بهم الأرض ولايكتمون الله حديثا)

" ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمه ، ملوك شبا وسبأ يقدمون هدية " لقد هابته الملوك واعترفوا بقدره ، وأرسلوا له الهدايا مثل المقوقس وغيره ، كما جئ للخلفاء من بعده ﷺ ، و " يسجد له كل الملوك " بالطبع المترجم نصرانى ويقصد كما تعلم أن هذا خاص بالمسيح مع وضوح كذبه فيما ادعى ولكن لنقل خضع له كل الملوك فى عهده وفى عهد الخلفاء الراشدين وغيرهم وأعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ، " كل الأمم تتعبد له " أى أن جميع من آمن على اختلاف أجناسهم على مر الأيام إلى يوم القيامة جزء من صلاتها لله الصلوات الخمس يعترف لحضرته بالنبوة ويصلى عليه وأولى أن يقال " كل الأمم تتعبد به " أى تتقرب إلى الله بكل ما جاء به من الهدى والنور أليس هو الرجل الكامل والمثال الذى يريده الله من كل مسلم وأنه " قرآناً يمشى بين الناس " وأن من أطاعه فقد أطاع الله ، لأنه ﷺ "لأنه ينجى الفقير المستغيث والمسكين إذ لا مُعين له ، يشفق على المسكين والبائس ويخلّص أنفس الفقراء من الظلم والخطف ، يفدى أنفسهم ويُكرم دمُهم فى عينيه ويعيش ويعيطه من ذهب شبا " ألم يكن حاله هكذا ﷺ فلم يظلم فى جوراه أحد وانتصف للمظلوم من الظالم وأخذ من مال الغنى للفقير، وحافظ على الفقراء والمساكين والمستغيث والملهوف والأرامل ، وحمى الضعاف من الخطف ، وجعل لهم مكانة وحافظ على أموالهم ودمائهم حيث قال " كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه **وقال:** المسلمون

تتكافئ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم والأحاديث فى ذلك كثيرة .

" ويصلى لأجله دائماً " من الذى يُصَلَّىَ من أجله دائماً غيره ﷺ ألم يأمرنا الله بذلك **حيث قال** : (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) ، ولما قالت الصحابة : عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك ، **فقال** : قولوا " اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد " ، وأنه ﷺ **قال** : " أقربكم منى مجلساً أكثركم علىّ صلاة " وغير ذلك من الأحاديث كثير .

" اليوم كله يباركه " أى تحصل البركة فى اليوم بالصلاة عليه فى الصلوات الخمس وغيرها فاليوم مبروك بالصلاة عليه والاعتراف له بالفضل فى الأذان ، وحيث إن فروق التوقيت تختلف من بلد إلى بلد فبناء عليه لا تزال الصلاة عليه طول اليوم بلا انقطاع وإذا كان ذلك كل يوم فالأيام كلها تباركه ﷺ وهو يباركها إلى يوم القيامة لذا " فإنه يصلى لأجله دائماً ، واليوم كله يباركه ﷺ " .

ثم يذكر الله علامة البداية له ، ولأصحابه بوضوح لا لبس فيه ولا غموض ،وكيف سيكثرون **فيقول** : حالهم وبدايتهم مثل " تكون حفنة بُرٍّ فى الأرض فى رؤوس الجبال " أى مثل حفان من بذر القمح بُذرت فى رؤوس الجبال " أليس هذا شأن النبى وأصحابه عندما بدأت الدعوة سراً فكانوا يستخفون بعيداً عن أعين كفار مكة فى الجبال ، وفى بيت الأرقم بن أبى الأرقم فى مكة ، " تتمايل مثل لبنان ثمرتها ويزهون فى المدينة مثل عشب الأرض " ثم يحكى أن الحفنة

الصغيرة كثرت ثمرتها وأصبح لها وجود وأن ثمرتها فى الكثرة مثل ثمار وأشجار لبنان ، وتزهر ويمتد عشبها فى الأرض كناية عن انتشار الإسلام من أين ؟ من " المدينة " هكذا بلا غموض ، ولا يطلق على مكان فى العالم اسم " المدينة " منفرداً إلا المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، ألم يقل الله فى القرآن الكريم فى سورة الفتح تلك الصفات السابق (محمد رسول الله والذين معه أشداءُ على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يُعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً)[1] .

" يكون اسمه إلى الأبد " ﷺ يمتد اسمه أمام الشمس فحيث الليل والنهار والشمس والقمر فاسمه باقٍ يتبارك به فى كل وقت وحين " قدام الشمس يمتدُّ اسمه ، ويتباركون به " ، " كل أمم الأرض يطوّبونه " يصلون ويسلمون عليه ويتباركون به وينتفعون بما جاء عنه ﷺ ، ثم ختم المزمور بإعلان الولاء لله وأن الفضل بيده يعطيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، " مبارك الرب الله إله إسرائيل الصانع العجائب وحده ، ومبارك اسم مجده إلى الدهر ولتمتلئ الأرض كلها من مجده ، آمين ثم آمين " .

وفى سفر حبقوق فى الإصحاح الثالث فى الترجمة القديمة " فى آخر الزمان يجيئ الرب من القبلة والقدوس من جبال فاران ويحمد الله على ذلك فى

(١) سورة الفتح ، آية رقم {٢٩} .

السماوات والأرض وكلمة أحمد تملئ " ومجئ الرب تبارك وتعالى مجيئ وحيه ، والقدوس هو نبينا محمد ﷺ ظهر من جبال فاران وهى مكة وأرض الحجاز[١]، فلما كانت الترجمة الحديثة الموجودة كانت كالآتى : "الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران ، سلاهُ ، جلاله غطى السماوات والأرض امتلأت من تسبيحه ، وكان لمعان كالنور له من يده شعاع وهناك استتار قدرته "[٢] ، ومن ذلك ما قال النبى ميشا " مخيا " فى الإصحاح الرابع فى الترجمة القديمة .

" فى آخر الزمان تقوم أمة مرحومة ، وتختار الجبل المبارك ليعبدون الله فيه ، ويجتمعون من كل الأقاليم فيه ليعبدوا الله الواحد ولا يشركوا به شيئاً " ، وهذا هو جبل عرفات بلا شك والأمة المرحومة هى أمة محمد ﷺ والاجتماع بالجبل المبارك هو اجتماع الحجيج بعرفات ، وإتيانهم إليه من جميع الأقاليم[٣] ، **وأما فى الترجمة الحديثة** : " ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً فى رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجرى إليه شعوب وتسير أمم كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب وإلى بيت إله يعقوب " . وفى الزمور المائة والتاسع والأربعون فى الترجمة القديمة " سبحوا الرب تسبيحاً حديثاً ، سبحوا الذى هيكله الصالحون ، ليفرح إسرائيل بخالقه وبنو صهيون ، من أجل أن الله اصطفى لهم أمة وأعطاهم النصر ، وسدد الصالحين منهم بالكرامة ، يسبحون الله على مضاجعهم ويكبرونه بأصوات مرتفعة ، بأيديهم سيوف ذوات شفرتين لينتقم الله بهم من الأمم الذين لا يعبدونه[٤] يوثقون ملوكهم بالقيود وأشرافهم بالأغلال" ،

---

(١) تحفة الأريب ، صـ١٣٨ .
(٢) الكتاب المقدس ، صـ١١٤٢ .
(٣) تحفة الأريب ، صـ١٣٨ .
(٤) الأعلام ، صـ٢٦٦ .

إذا فمن هذه الأمة التى سيوفها : سيوف ذوات شفرتين ، ينتقم الله بهم من الأمم الذين لا يعبدونه ؟ ومن المبعوث بالسيف من الأنبياء ؟ ومن الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة فى الأذان (ويذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) ؟ أليست هذه أوصاف أمته بلا ريب ، ولا ورجم غيب .

ثم فى الترجمة الحديثة : " غنوا للرب ترنيمة جديدة فى جماعة الأتقياء ، ليفرح إسرائيل بخالقه ، ليبتهج بنوصهيون بملكهم ، لسيبحوا اسمه برقص ، بدف وعود ليرنموا له ، لأن الرب راضٍ عن شعبه ، يُجمِّل الودعاء بالخلاص ليبتهج الأتقياء بمجد ليرنموا على مضاجعهم ، تنويهات الله فى أفواههم ، وسيف ذوحدّين فى يدهم ليصنعوا نقمةً فى الأمم وتأديبات فى الشعوب لأسر ملوكهم بقيودٍ وشرفائهم بكبول من حديد ليجروا بهم الحكم المكتوب ، كرامةٌ هذا لجميع أتقيائه [١] ، **وفى المزمور الخامس والأربعين يقول :** " أنت أبرع جمالاً من بنى البشر ، انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الأبد ، تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك ، وبجلالك اقتحم ، اركب من أجل الحق والدعة والبر فتريك يمينُكَ مخاوف ، بنبلك المسنونة فى قلب أعداء الملك ، شعوب تحتكِ يسقطون "[٢]، فمن غيره ﷺ أجمل البشر خَلْقاً وخُلُقاً ؟ ومن الذى انسكبت النعمة على شفتيه متمثلاً فى القرآن الكريم ، والحديث القدسى والحديث النبوى وكله وحى الله (وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى * علمه شديد القوى) ، ومن المبارك عليه والمصلى عليه والمرفوع ذكره بإذن ربه إلى الأبد غيره ﷺ ، ومن الذى تقلد سيفه وحارب الكفار وهزمهم عندما تركوا اتباع الحق وأصروا

---

(١) الكتاب المقدس ، صـــ٨٠١ .　　(٢) الكتاب المقدس ، صـــ٧٣٤ .

على قتاله ونزاله ﷺ ؟ ، ومن الذى قال له ربه ولأصحابه (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يُحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)[١] ، وقوله فى السورة نفسها (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين)[٢] ألم يرسل الله الملائكة للمحاربة مع النبى ﷺ وأصحابه (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكَم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان * ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقِقِ الله ورسوله فإن الله شديد العقاب)[٣] وغير ذلك من الآيات كثير .

أليس ذلك هو تفسير " تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك ، وبجلاك اقتحم من أجل الحق والدَّعة والبر فتريك يمينك مخاوف، نبلك المسنونة فى قلب أعداء الملك " الله " شعوب تحتك يسقطون " أو ليس هذا شأنه ﷺ هُدم بوجوده ممالك وشعوب على رأسها أعظم مملكتين " الفرس والروم " .

ويأتى ملاخى فيذكر اسم نبينا وأن أوانه قبل يوم القيامة وهذا هو الحقيقة فإنه ﷺ قال : " بُعثت أنا والساعة كهاتين وأشار إلى السبَّابة والوسطى وإن كادت لتسبقنى " **يقول ملاخى على لسان الحق فى الإصحاح الرابع** " ها أنا ذا أرسل إليكم إيلياء النبى قبل مجئ يوم الرب اليوم العظيم

---

(١) سورة التوبة ، آية رقم {٢٩} . (٢) سورة التوبة ، آية رقم {١٢٣} .
(٣) سورة الأنفال ، الأيتان {١٢ ، ١٣} .

والمخوف ، فيردُ قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئلا آتى وأضرب الأرض "[١] .

فالمقصود " بإيلياء "هو سيدنا محمد بحساب الجُمّل حيث إن كلمة "**إيلياء**" بحساب الجُمّل يساوى اسم " أحمد " فالألف بواحد والياء بعشرة واللام بثلاثين والياء بعشرة والألف بواحد والهمزة بواحد فالمجموع ثلاث وخمسون ، و " أحمد " الألف بواحد والحاء بثمانية والميم بأربعين والدال بأربعة ، فيكون المجموع ثلاث وخمسون وهو نفس حساب " **إيلياء** " فماذا يكون القول بعد هذا الوضوح وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

ولاحظ أنه يأتى قبل يوم القيامة أى لا نبى بعده ، وهذا ما أخبر عنه نبينا بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ومن الذى أنزل عليه (وبالوالدين إحساناً) (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن) ، ومن الذى أنزل عليه تفصيل حق الوالدات ، وذكّر حقوق الآباء والأمهات بالأحاديث والآيات غيره ﷺ .

ويتحدث المسيح عن كمال ومنزلة يوحنا المعمدان "يحيى عليه السلام" ويبين أنه نبى وأنه من أعظم ما ولدت النساء ، ولكن المسيح عند الله أعظم منه ، ثم يتحدث عن رسولنا ﷺ وأنه آن أوانه وأن من له أذنان فليسمع **وهذا هو النص إنجيل متى الإصحاح الحادى عشر** : " الحق أقول لكم : لم يَقُمْ بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ، ولكن الأصغر – المسيح يعنى بالأصغر نفسه تواضعاً – فى ملكوت السماوات أعظم منه ، ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن

---

(١) الكتاب المقدس ، صـ١١٦٦ .

ملكوت السماوات يُغصب والغاصبون يختطفونه ، لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا ، وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو " **إيلياء** " المزمع أن يأتى من له أذنان للسمع فليسمع "(١) وإيلياء هو نبينا ﷺ كما سبق بيانه ، كما أن **المزمور المائة والتاسع عشر المكتوب عنه فى الهامش عنوان " تطويبات وصلوات "** هو خاص بسيدنا محمد كلام يحكى الله فيه حاله وطلبه من ربه للقرآن والشريعة أوحاها الله لداود فرتنمها ولولا أن الكتاب لم يخصص كله لهذا لقمت بشرح المزمور ولكن لنذكر بقية ما ذكر فى شأنه فى التوراة بإيجاز .

ويقول أشعيا فى الإصحاح الثالث والأربعين على لسان الحق : " لا تذكروا الأوليات ، والقديمات لا تتأملوا بها ، ها أنا ذا صانعٌ أمراً جديداً ، الآن ينبت ألا تعرفونه ، اجعل فى البرية طريقاً فى القفر أنهاراً يمجدنى حيوان الصحراء الذئاب وبنات النعام لأنى جعلتُ فى البرية ماءً أنهاراً فى القفر لأسقى شعبى مختارى، هذا الشعب جبلته لنفسى، يحدِّثُ بتسبيحى "(٢)،فما هو الأمر الجديد الذى هو بخلاف ما مضى الذى سوف يغير من أجله الصحراء ويحولها إلى أنهار ليسقى شعبه المختار الذى يسبحه ويمجده من هم غير العرب وأرض الحجاز التى تتحول ببركته ﷺ خيراً وبركة للحيوان والإنسان .

وقال النبى دانيال للملك نبو خذ ناصر - بخت نصر - أراد أن يختبر نبوته وذلك أن بنو خذ ناصر رأى رؤيا فطلب من النبى دانيال أن يخبره بها وأن يفسرها **فقال النبى دانيال :** أنت أيها الملك كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم ، هذا

---

(١) إنجيل متى ، صـ١٨ .   (٢) الكتاب المقدس ، صـ١١٣ .

التمثال العظيم البهىُّ جداً وقف قبالتك ومنظره هائل ، رأس هذا التمثال من ذهب جيّد ، صدرُه وذراعاه من فضة ، بطنُه وفخذه من نحاس ، ساقاه من حديد ، قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف كنت تنظر إلى أن قُطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً وصارت كعاصفة البيدر فى الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان ، أما الحجر الذى ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً وملأ الأرض كلها ، فهذا هو الحلم ، فنخبر بتعبيره قدام الملك :

أنت أيها الملك ملك ملوك لأن إله السماوات أعطاك مملكةً واقتداراً وسلطاناً وفخراً ، وحيثما يسكن بنو البشر ووحوش البر وطيور السماء دفعها ليدك وسلطك عليها جميعها ، فأنت هذا الرأس من ذهب وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك ، ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتتسلط على كل الأرض وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد لأن الحديد يدق ويسحق كل شئ، وكالحديد الذى يكسّر تسحق وتكسر كل هؤلاء ، وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف الفخار والبعض من حديد ، فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث أنك رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين ، وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف فبعض المملكة يكون قوياً والبعض قَصِماً ، وبما رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين فإنهم يختلطون بنسل الناس ولكن لا يتلاصق هذا بذاك كما أن الحديد لا يختلط بالخزف .

وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً وملكها لا يُترك لشعب آخر ، وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهى تثبت إلى الأبد ، لأنك

رأيت أنه قد قُطع حجرٌ من جبل لا بيدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب ، الله العظيم قد عرّف الملك ما سيأتى بعد هذا ، الحلم حق وتعبيره يقين ، حينئذ خرّ نبو خذ نصرٌ على وجهه وسجد لدانيال وأمر بأن يقدموا له تقدمه وروائح سرور ... إلخ[١] .

وفى الترجمة القديمة فى شأن الحجر قال : الحجر : هو دين نبى ، وملك أبدى فى آخر الزمان ، يغلب الأمم كلها ، ثم يعظم حتى يَملأ الأرض كلها كما ملأها ذلك الحجر "[١] .

فإن قيل أن المقصود بذلك المسيح عليه السلام فإنا نقول أنه لم يغلب الأمم كلها بل غُلب بزعمكم ، فإنه استُضعف فأهين وصُلب ولم يبعث إلى الأمم كلها عامة ، بل إلى قوم بأعيانهم خاصة حيث قال " إنما بعثت لخراف بنى إسرائيل الضالة " وإنما المقصود بذلك محمدَ ﷺ الذى غلب كل الأمم العرب منها ، والعجم على اختلاف أصنافها ، وشتى ضروبها وأوصافها فجعل الكل جنساً واحداً ، وألزمهم ديناً واحداً وصيرهم أمة واحدة وجعلهم على اختلاف لغاتهم يتكلمون بلغة واحدة ، أعنى إذا قرأوا القرآن إذ لا يمكن أن ينتقل عن لسان العرب إلى لسان غيرهم ، فإن تُرجم بلسان آخر فليس ذلك هو القرآن ، وإنما هو تفسير القرآن[٢] .

وفى الإصحاح الرابع والخمسون لأشعياء يتكلم الله إلى مكة المكرمة **فيقول** : " ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد - يقصد أنه لم يأتى فيها نبى بعد إسماعيل فكانها كالعاقر - بالترنم أيتها التى لم تمخض لأن بنى المستوحشة

(١)الكتاب المقدس سفر دنيال الإصحاح الثانى صـــ ١٠٨١(١) الإعلام ، صـــ٢٧٧ . (٢) الإعلام بتصرف ، صـــ٢٧٧ ، ٢٨٨

فكانها كالعاقر – بالترنم أيتها التى لم تمخض لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل ، **قال الرب** : أوسعى مكان خيمتك ، ولتُبسط شُقق مساكنك لا تُمسكى ، أطيلى أطنابك وشدّدى أوتادك لأنك تمتدين إلى اليمين واليسار ويرثُ نسلك أمماً ، ويُعمر مدناً خربة ، لا تخافى لأنك لا تخزين ، ولا تخجلى لأنك لا تستحين ، فإنك تنسين خزى صباك ، وعار ترملك لا تذكرينه بعد " كناية عن عدم إرسال الرسل بعد إسماعيل فعبدت الأصنام ، وبعدواعن شريعة إبراهيم وإسماعيل فكأنه خزى وعار نتيجة عدم إرسال الرسل ، وأن الله قد رضى عنها وأنها سوف تنسى كل ما مر ولا تذكره بعد ذلك " لأن بعلك هو صانعك " – أى القائم على أمرها هو الله صانعها – رب الجنود اسمه ، ووليُّك قدوس إسرائيل إله كل الأرض يُدعى ، لأنه كامرأة مهجورة ومخزونة الروح دعاك الرب وكزوجة الصبا إذا رُذِلت قال إلهك ، لُحَيظةً تركتكِ وبمراحم عظيمة سأجمعك ، بفيضان الغضب حجبتُ وجهى عنك لحظةً ، وبإحسانٍ أبدى أرحمك . **قال وليك الربُّ** : لأنه كمياه نوح هذه لى ، كما حلفتُ أن لا تعبر بعد مياه نوح على الأرض هكذا حلفتُ أن لا أغضب عليكِ ولا أزجركِ ، فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع أما إحسانى فلا يزول عنكِ وعهد سلامى لا يتزعزع . **قال راحمك الرب** : أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية ها أنذا أبنى بالإثمد حجارتك وبالياقوت الأزرق أؤسسك ، وأجعل شُرَفكِ ياقوتاً وأبوابك حجارة بهرمانيَّة ، وكل تخومك حجارة كريمة ، وكل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيراً ، بالبر تُثبتين بعيدة عن الظلم فلا تخافين، وعن الارتعاب فلا يدنوا منك (ومن دخله كان آمناً) (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) ها إنهم يجتمعون اجتماعاً ليس من عندى ، من اجتمع

عليك فإليك يسقط ... كل آلة صُوِّرت ضِدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين عليه ، هذا هو ميراث عبيد الرب وبرُّهم من عندى يقول الرب "[١] ، **ويقول فى السفر الذى يليه عن سيدنا محمد ﷺ** : " أميلوا آذانكم وهلموا إلىّ ، اسمعوا فتحيا أنفسكم وأقطع لكم عهداً أبدياً مراحم داود الصادقة ، هو ذا قد جعلتُه شارعاً للشعوب، رئيساً وموصياً للشعوب ها أُمّةٌ لا تعرفها تدعوها وأُمّةٌ لم تعرفك تركض إليك من أجل الرب إلهك وقدوس إسرائيل لأنه قد مجدك "[٢] .

ويقول فى شأن الكعبة وجبل عرفات : " وأبناء الغريب الذين يقترنون بالرب ليخدموه ويحبوا اسم الرب ليكونوا له عبيداً كل الذين يحفظون السبت لئلا ينجسوه ويتمسكون بعهدى ، آتى بهم إلى جبل قُدسى وأفرحهم فى بيت صلاتى وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحى لأن بيتى بيت الصلاة يُدعى لكل الشعوب " .

وفى الإصحاح الستين لأشعياء يقول فى شأن مكة ،ـــ والمترجم يقصد أورشليم لأنه نصرانى ـــ فاقرأ ترى عجباً " قومى استنيرى لأنه قد جاء نورك، ومجد الرب أشرق عليكِ ، لأنه ها هى الظلمة تغطى الأرض والظلامُ الدامس الأمم ، أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يُرى فتسير الأمم فى نورك ، والملوك فى ضياء إشراقك إرفعى عينيك ، حواليك وانظرى ، قد اجتمعوا كلهم جاءوا إليك ، يأتى بنوك من بعيد (يأتين من كل فج عميق)[٣] وتُحمل بناتك على الأيدى - تكريم النساء المسلمات والمحافظة عليهن فى الحج والعمرة - حينئذ تنظرين وتُنيرين ويخفق قلبكِ ويتسع لأنه تتحول إليك ثروة البحر ،.ويأتى إلى

---

(١) الكتاب المقدس ، صـــ ٩١٠ . (٢) الكتاب المقدس ، صـــ ٩١٠ . (٣) سورة الحج .

غنى الأمم (أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شئ رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون)[١] ، تعطيك كثرةُ الجمال بُكران مديان وعيفة كلها تأتى من شبا ، تحملُ ذهباً ولُباناً وتبشر بتسابيح الرب " أى أن القادم يأتى مسبحاً مع ما يأتى معه من خيرات (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام)[٢] ، كل غنم قيدار تجتمع إليك " وقيداربن إسماعيل ومسكنه وأولاده الحرم ، وجزيرة العرب إنما تجتمع الغنم من أجل الهدى فى الحج فتأكد من الكلام أنها مكة ، كباش نبايوت تخدمك " ونابت من أولاد إسماعيل أيضاً حيث إن إسماعيل بن إبراهيم وُلد له اثنا عشر رجلاً : "نابتاً" ، وكان أكبرهم ، "وقيدار" و "أذبل" ويقال "أدبيل" ويقال "منشا" "مشا" و "مِسمْعا" و "ماشى" ويقال "ماسى" و دمّا" ويقال "دمار" و "أذر" ويقال "أدر" و "طيما" ويقال "تيما" ويقال "ظمياء" ويقال "طما" و "بطور" ويقال "قطور " و " نَبش" ويقال "نيش" ويقال "نفيس" ويقال "يافيش" ويقال "فنس" و "قَيْذُما" ويقال "قيدمان" وأمهم " رَعلة بنت مضاض بن عمرو الجُرهمى ، وجرهم بن قحطان ، وقحطان أبو اليمن كلها[٣] ، وإنما ذكرت أبناء سيدنا إسماعيل بأسماءهم وذكرت اختلافها لكى لا يتوهم متوهم عندما يقرأ اسمافيه اختلاف أنه غير المطلوب وإذا كانت غنم قيدار ونابت أولاد إسماعيل الكبار كلها تذهب إلى مكة فغنم إخوتهم الصغار أولى ويتأكد لنا أن المقصود بالحديث مكة المكرمة ، ونبينا كما ذكرت فى نسبه أنه من ولد قيدار بن إسماعيل إذاً فالأمر واضح نعود إلى النص حيث يتكلم عن الغنم والذبح فى أيام الحج " تصعد مقبولة على مذبحى وأُزيّن بيت

---

(١) سورة القصص ، الآية رقم {٥٧} . (٢) سورة الحج . (٣) سيرة ابن هشام ، ٥/١ .

جَمالىَ – الكعبة – مَنْ هؤلاء الطائرون كسحابٍ وكالحمام إلى بيوتها ، إن الجزائر تنتظرنى وسفن ترشيش فى الأول لتأتى ببنيك من بعيد " حجاج البحر " وفضتهم وذهبهم معهم لاسم الرب إلهك وقدوس إسرائيل لأنه قد مجَّدك . وبنو الغريب – المقصود بهم الناس الذين ليسوا من نسل إسحاق ويعقوب – يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك ، لأنى بغضبى ضربتك "كناية عن المعاصى التى ارتكبها الجرهميون وغيرهم " فغضب الله عليهم فيها " "وبرضوانى رحمتك ، وتنفتح أبوابك دائماً نهاراً وليلاً لا تُغلق " وهكذا شأن مكة والحرم لا يغلق له ولا لها باب إلا فى وجه كافر " ليُؤتى إليك بغنى الأمم ، تنقاد ملوكهم ، لأن الأمة والمملكة التى لا تخدمك تبيد، وخراباً تُخرب الأمم (ومن يُرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) (مجد لبنان إليك يأتى ، السرو والسنديان والشربين معاً، لزينة مكان مقدسى ، وأمّجد موضع رجلى) (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) والمقام موضع قدم إبراهيم وهى محفورة وموجودة فى داخل الحجر " وبنوا الذين قهروكِ يسيرون إليك خاضعين ، وكل الذين أهانوكِ يسجدون لدى باطن قدميك ، ويدعونكِ مدينة الربِ – مكة المكرمة – صهيون قدوس إسرائيل – وصهيون اسم جبل يقدسه اليهود وهو بالقرب من أورشليم ، ويقصد أن جبل عرفات الذى هو بمكة يُقدس ويُصعد عليه كما يفعل ذلك اليهود فى جبلهم – "عوضاً عن كونك مهجورة ومُبغضة بلا عابر بك ، أجعلك فخراً أبدياً فرح دور فدور " – أى كنت بلاداً صحراءَ مهجورةً يخاف مساكنتك (واد غير ذى زرع) أجعلك فخراً أبدياً فرح دور فدور)، كناية عما يعود به الحاج من غفران الذنوب ،وحط الأوزار ، ويُلقب بلقبِ حاج البيت وكل ذلك فخراً وفرحاً ويظل ذلك أبداً لكل من زار أو

اعتمر -(وترضعين لبن الأمم ، وترضعين ثدى ملوك وتعرفين أنى أنا الرب مخلصك ووليُّكِ عزيز يعقوب)" أى أنها تأخذ خير الأمم والملوك عن طيب خاطر ويعلن فيك أن " الله أكبر " مطهرك من الأصنام والأوثان وهو الذى يتولى أمرك ويحميك الله الذى هو ليعقوب كما كان العزيز ليوسف أى أن الله رب يعقوب وهو عبده المحبوب ويعقوب هو إسرائيل ، ولم يكن يومها ليقال الله رب محمد حيث لم يأت بعد بل مُخَبرٌ عن صفاته وكمالاته واسمه من باب العلم بها والإيمان بالغيب "(عوضاً عن النحاس آتى بالذهب، وعوضاً عن الحديد آتى بالفضة، وعوضاً عن الخشب بالنحاس، وعوضاً عن الحجارة بالحديد ، واجعل وكلاءك سلاماً وولاتك براً).

(لا يُسمع بعد ظلمٌ فى أرضك، ولا خراب أو سحق فى تخومك، بل تسمين أسواركِ خلاصاً، وأبوابك تسبيحاً ، لا تكون لك بعدُ الشمس نوراً فى النهار، ولا القمر ينير لك مضيئاً، بل الرب يكون لك نوراً أبدياً، وإلهك زينتُك، لا تغيبُ بعد شمسُكِ ، وقمركِ لا ينقص، لأن الرب يكون لك نوراً أبديّاً وتكملُ أيام نوحكِ ، وشعبك كلهم أبرار إلى الأبد ، يرثون الأرض ، غصن غرسى عمل يدىّ لأتمجد ، الصغير يصير ألفاً ، والحقير أمة قوية ، أنا الرب فى وقته أُسرع به "[1] ، بالله عليك هذه الأوصاف تنطبق على أورشليم التى هى الآن لا تنتهى مشاكلها وبنى جلدتهامن الفلسطينين لا يستطيعون دخولها والحرب والدمار واقعاً فيها، وليست بسبب هؤلاء اليهود فى مأمن، ولا من يجلس فيها أو يدخلها فى مأمن ، أم تكون

(١) الكتاب المقدس ، صـــ٩١٦ .

بلد الأمن مكة (إن أول بيت وُضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً)[١] (أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون)[٢] .

ثانيا " إثبات نبوته فى الإنجيل ﷺ "

فى إنجيل يوحنا " يحيى عليه السلام " حين طلبوا أن يجيب بالحق ويشهد بالحق أهو " إيلياء " أو النبى أى سيدنا محمد ﷺ وهذا نص شهادته: " وهذه شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولا ويين ليسألوه من أنت ؟ فاعترف ولم ينكروا وأقرأنى لست أنا المسيح فسألوه إذاً ماذا ، إيلياءُ أنت ؟ **فقال** : لست أنا ، ألنبىُ أنت ، فأجاب لا[٣] .

لقد أنكر يحيى أنه هو النبى الذى أخبر عنه موسى وقد كان معاصراً للمسيح عيسى بن مريم عليهما السلام الذى لم يؤثر عنه الاعتراف بأنه هو، وعلى شهادته هذه يكون هذا النبى من بعدهما آت ، وحيث الأوصاف منطبقة على نبى الإسلام ﷺ وهو من نسل إسماعيل المبارك من الله ، فإنه يكون هو المراد ، وقد تطابقت نبوءة التوراة " نبياً أقمت لهم من جملة أخوتهم مثلك ... إلخ" ونبوءة الإنجيل " ألنبى أنت ؟ **أجاب** : كلا ، مع القرآن الكريم فى قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة

---

(١) سورة آل عمران . (٢) سورة العنكبوت ، آية {٦٧} . (٣) إنجيل يوحنا ، صـ١٣٢ .

والإنجيل) ، وقوله (إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً) . **وفى إنجيل يوحنا الإصحاح الرابع عشر يقول المسيح عليه السلام :** " إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم مُعزِياً - البرقليط وباللتينى براكلتس ومعناه أحمد - آخر ليمكث معكم إلى الأبد ، روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم لا أترككم يتامى "(١) ، هكذا ذكر المسيح عليه السلام اسم نبينا ولكنهم تفادياً من إقامة الحجة عليهم غيروا الكلمة من البرقليط أو براكلتس إلى " المُعزّى " ولكن كيف بهم وقد قال " معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد " أى رسولاً آخر غيره يبقى إلى الأبد أى قيام الساعة " روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه " أى أن اليهود والنصارى سيرفضونه – إلا من كُتبت له الهداية – لأنهم لا يرونه ولا يعرفونه إصراراً منهم على عدم المعرفة والقبول له ولقد صدق الله إذ يقول (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهوائَهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولىٍ ولا نصير * الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون)(٢) .**وقوله** " وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم " والآية الماضية

---

(١) إنجيل يوحنا ، صـ١٦٠ . (٢) سورة البقرة ، الآيتان رقم {١٢٠ ، ١٢١} .

تدل على ذلك ثم نزيد عليها قوله تعالى (واعلموا أن فيكم رسول الله) ثم يقول فى الإصحاح نفسه بعد فقرات " وأما المعزّى الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمى فهو يعلمكم كل شئ، ويُذكركم بكل ما قلته لكم "، ومن المعلوم كلمة باسمى مقحمة فى وسط الكلام والله قد علمنا ويُعلمنا من حبيبه ﷺ علم كل شئ ، أليس فى القرآن " نبأ من قبلكم وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل وهو الذى لا تنقضى عجائبه " .وقوله (سيرسله) أليست السين وسوف للاستقبال أى أنه سوف يأتى ، وهل إلى الآن جاء غيره واجترأعلى قولها أحد بعده ١٥٠٠ عام منذ مجيئهﷺ لم يغير حرف من كتابه أو سنته، ولم يدعى مسلم أنه إله أو ابن إله وسيظل الأمر كذلك إلى أن تقوم الساعة ٠

وفى الإصحاح نفسه يقول " لا أتكلم أيضاً معكم كثيراً لأن رئيس هذا العالم يأتى وليس له فىَّ شئ ، ولكن ليفهم العالم أنى أحبُّ الآب ، وكما أوصانى الآب هكذا أفعل " ، فمن رئيس العالم الذى يأتى غيره ﷺ ، "وليس له فىَّ شئ" أى أن المنهج سيكون جديداً لا يأخذه من توراة اليهود ولا إنجيل عيسى ،حيث سيكون القرآن الكريم الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " ، (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً)[1] .

ويقول فى الإصحاح الخامس عشر ليوحنا أيضاً " ومتى جاء المعزّى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى ،

---

(١) المائدة ، آية رقم {٤٨} .

وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معى من الابتداء " .

يتحدث المسيح قبل تلك الفقرات عن اضطهاد اليهود وإيذائهم له، ويبين أنهم أبغضوه بلا سبب وأنه متى جاء المعزى "بركلتس" أحمد ﷺ الذى سأرسله أنا إليكم من الآب "هو لن يرسله والكلمة مقحمة حيث أن الجملة التى بعدها تؤكد أن المرسل له هو الله وليس المسيح حيث يقول " روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى " أى أن رسول الله ﷺ هو الذى يعضد رسالة المسيح ويؤكدها، فحين ينبثق نوره ﷺ سيُعلم الدنيا كلها بأن عيسى رسول الله ، وأنه ليس ولد زنا كما قالت اليهود وافترت ، وأن مريم صديقة ، وأنهم لم يصلبوه ولم يقتلوه بل شُبِّه لهم ، وأن الله رفعه وهو حى عنده ، وأنه علامة على القيامة ينزل قبلها يُحكم بالقرآن ، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب ، وعندما يراه المسيخ الدجال يذوب ذوبان الثلج من الخوف منه وغير ذلك مما أخبر به الرسول عن عيسى ومريم البتول .

وأما " قوله تشهدون أنتم أيضاً لأنكم معى من الابتداء " وفعلاً كان الحواريون معه ، وآمنوا به وذكر الله لنا ذلك فى قوله تعالى فى القرآن الكريم (وإذا أوحيت إلى الحواريون أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون)[١] وقال تعالى (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله أمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون)[٢] .

وفى الإصحاح السادس عشر " يوحنا " عقب الكلام السابق يقول فقرات

(١) سورة المائدة آية {١١١} . (٢) سورة آل عمران آية{٥٢} .

كثيرة يؤكد فيها ذهابه ، وتركه لهم والعودة إلى الملأ الأعلى ، ويعلم أنهم حزانى لفراقهم إياه ، ولكنه قال بأنه إن لم يذهب فلن يأتى المعزّى ، ــ أى رسولنا محمد حيث إن فى مجيئه بيان الحق والحقيقة، ويضع الأمور فى نصابها، ويكون اللوم على الظالمين يقول "(قد كلمتكم بهذا لكى لا تعثروا ، سيخرجونكم من المجامع) –يقصد أن اليهود سيصنعون ذلك فى أتباعه وتلاميذه –(بل تأتى ساعةٌ فيها يظنُّ كل مَنْ يقتلكم أنه يُقدّم خدمة لله ، وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب ، ولا عرفونى ، لكنى قد كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أنى أنا قلتهُ لكم ، ولم أقل لكم من البداءة لأنى كنتُ معكم ، وأما الآن فأنا ماضي إلى الذى أرسلنى ، وليس أحد منكم يسألنى أين تمضى ، لكن لأنى قلتُ لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم ، لكنى أقول لكم الحق : إنه خيرٌ لكم أن انطلق ، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّى ، ولكن إن ذهبت أُرسله إليكم ، ومتى جاء ذاك يُبكّت العالم على خطّيةٍ ، وعلى برٍ، وعلى دينونة ، أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى ، وأما على بر فلأنى ذاهب إلى أبى ولا تروننى أيضاً، وأما على دينونة ، فلأن رئيس هذا العالم قد دين ، إن لى أموراً كثيرة أيضاً لا أقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأما متى جاء ذاك روح الحق "محمد" فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كلّ ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية ، ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى و يخبركم[١] " والجملة الأخيرة مقحمة حيث إنه يتكلم عن النبى بإجلال يفوق المسيح نفسه ،ثم يجئ بجملة أخرى يرفع فيها من شأن المسيح على نبينا فى حين أن الله علمنا " لا نفرق بين أحد من رسله " وقد

(١) الإصحاح السادس عشر (يوحنا) .

سبق أن ذكرت أن البرقليط أو البراكلتس هو أحمد ، والمُنْحِمَنَّا : بالسريانية هو محمد ﷺ ، وأما ترجمته بالمعزّى : أى أنه جاء للناس عزاءً بعد رحيل المسيح فهو لفظ به تقليل لمكانه ﷺ ولكن المترجم لم يستطيع أن يبدل كلمة "رئيس هذا العالم" والحق دائماً أبلج ، وماذا بعد قوله (وهو يرشدكم إلى جميع الحق) ، ولقد صَدّق المسيح وصدَّق وأمن برسوننا محمد ﷺ ولكن الظالمين من بعده يجحدون . وفى الإصحاح الثانى عشر يقول (" الآن دينونة هذا العالم ، الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً، وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلىّ الجميع[١]).

" الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً " أى آن أوان ظهوره من عالم الغيب ، إلى عالم الشهادة والمقصود به محمد ﷺ ، لأن اليوم الآخر قد أقترب ، ويقول أيضاً " ما دام لكم النور آمنوا بالنور، لتصيروا أبناء النور[٢] ، **وهذه إشارة إلى قوله تعالى** (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه وأتبعوا النور الذى أنزله معه أولئك هم المفلحون)[٣] .

وفى **أعمال الرسل** يؤولون قول موسى عليه السلام فى حين أن الحقيقة واضحة **يقول بطرس** "إن موسى قال للآباء (إن نبياً مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم ، له تسمعون فى كل ما يكلمكم به ، وكل نفس لا تسمع بذلك النبى تباد من الشعب) ومن الملاحظ أنهم حذفوا " أجعل كلامى فى فمه " من أجل تأويلها أنها للمسيح .

---

(١) العهد الجديد صـ ١٥٦ . (٢) العهد الجديد صـ ١٥٦ (٣) سورة الأعراف آية {١٥٧} .

ثم يكون الكذب مرة أخرى على الحق الواضح ، فيكون هذا الادعاء على لسان بطرس ــ والله أعلم إن كان قاله أو أنه مكذوب عليه ــ حيث يقول عن المسيح " (هذا هو الحجر الذى أحتقرتموه أيها البناؤون الذى صار رأس الزاوية) . ولقد أكد المسيح أنه ليس "**إيلياء**" وأنه المسيح فقط ، وبالتالي فإن **إيلياء** لم يأتِ " **وإيلياء** " هو بالعربية "أحمد" يقول المترجم (فسألهم " – أى المسيح – قائلاً مَنْ تقول الجموع أنى أنا ؟ فأجابوا وقالوا : يوحنا المعمدان ، وآخرون إيلياء ، وآخرون أن نبياً من القدماء قام ، **فقال لهم** : وأنتم من تقولون أنى أنا ؟ فأجاب بطرس **وقال** : مسيح الله[١] .

ويضرب المسيح مثلاً لانتقال النبوة من بنى إسرائيل إلى أبناء إسماعيل متمثلاً فى سيدنا محمد ﷺ فيقول " كان إنسانٌ ربُّ بيتِ غرس[٢] كرماً وأحاطه بسياج[٣] وحفر فيه معصرة وبنى برجاً[٤] وسلَّمه إلى كرّامين – أى سلم الحقل للعمال المتخصصين للعمل فى حقل العنب – وسافر ، ولما قَرُبَ وقتُ الإثمار أرسل عبيدَهُ إلى الكرّامين ليأخذ أثماره ، فأخذ الكرّامون عبيدَهُ وجلدوا بعضاً ، وقتلوا بعضاً ، ورجموا بعضاً ، ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك ، فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً يهابون ابنى ، وأما الكرّامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذاهو الوارث هلموا نقلته ونأخذ ميراثه ، فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه ، فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرّامين ؟ قالوا له : أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً رديّاً ، ويُسلّم الكرم إلى

---

(١) إنجيل لوقا الإصحاح التاسع صـــ ١٠٠ .
(٢) حقل عنب .
(٣) بسياج : أى أحاطه بسور .
(٤) بنى برجاً : أى للحراسة .

كرّامين آخرين يعطونه الأثمار فى أوقاتها ، **قال لهم يسوع : أما قرأتم قط فى** الكتب : الحجر الذى رفضَهُ البناؤون هو قد صار رأس الزاوية من قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيُننا ، **لذلك أقول لكم** : إن ملكوت الله يُنزَع منكم ويُعطى لأمةٍ تعملُ أثمارَهُ ، ومن سقط على هذا الحجر يترضض – يتكسر – ومن سقط هو عليه يسحقه "[١] .

وهكذا أخبر المسيح أن النبوة والدين فى بنى إسرائيل ستنزع منهم وتعطى لأمة تقوم به وتعمل ما يجب عليها نحو ربها عز وجل ، فهم قتلوا الأنبياء وجلدوهم ورجموهم وأرسل الله لهم من الرسل البالغ العاقل الرشيد مثل يوسف وموسى وهارون وغيرهم وأرسل لهم الصبى العاقل الرشيد المتمثل فى يحيى (وآتيناه الحكم صبياً) وأرسل لهم طفلاً فى المهد متمثلاً فى عيسى بن مريم وذكر الله قولهم ورد عيســى عليهم (كيف نكلم من كان فى المهد صبياً * قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً وجعلنى مباركاً أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً * وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً عصياً)[٢] ، وعاش فيهم المسيح بن مريم زمناً ، ، ومع ذلك تآمروا عليه ليقتلوه لولا أن رفعه الله إليه ، فهل يستحقون بعد ذلك أن تبقى فيهم النبوة والكتاب؟ إذاً فلابد من أن ينزع هذا الخير من أيديهم ، ويوضع فى يد من يقدرونه ويوقرونه وينصرونه (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً* لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بُكرةً وأصيلاً * إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما

---

(١) إنجيل متى ، إصحاح ٢١ صـــ٢٥-٢٦٢٢ .   (٢) سورة مريم .

ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً)[١] ولاحظ تعبير يُنزع والنزع خلاف الأخذ حيث إنه أخذ بإهانة للمؤخوذ منه زيادة على التحقير والإذلال .

ويضرب مثلاً آخر لانتقال النبوة أيضاً وأسبابه فيقول (يشبه ملكوت السماوات إنساناً ملكاً صنع عرساً لابنه ، وأرسل عبيده ليدعوه المدعوين إلى العرس فلم يريدوا أن يأتوا فأرسل أيضاً عبيداً آخرين قائلاً قولوا للمدعوين هو ذا غدائى أعددته . ثيرانى ومسمناتى قد ذُبحتْ وكلّ شئ مُعَدٌّ تعالوا إلى العرس . ولكنهم تهاونوا ومضوا واحدٌ إلى حقله ، وآخر إلى تجارته ، والباقون امسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم ، فلما سمع الملك غضب وأرسل جنوده وأهلك أولئك القاتلين وأحرق مدينتهم، ثم **قال لعبيده** : أما العرس فمستعــدّ ، وأما المدعوين فلم يكونوا مستحقين ، فاذهبوا إلى مفارق الطرق وكلّ من وجدتموه فادعوه إلى العرس ، فخرج أولئك العبيد إلى الطريق وجمعوا كلّ الذين وجدوهم أشراراً وصالحين فامتلأ العرس من المتكئين ، فلما دخل الملك لينظر المتكئين رأى هناك إنساناً لم يكن لابساً لباس العرس ، **فقال له** : يا صاحب كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس فسكت ، حينئذ قال الملك للخدّام اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه فى الظلمة الخارجية هناك يكون البُكاءُ وصرير الإنسان ، لأن كثيرين يُدعون ، وقليلين ينتخبون "[٢] وبالطبع فإن المطرود هم من اليهود والنصارى الذين رفضوا الإيمان بمحمدﷺ عندما جاء زمانه .

ثم إن المسيح قد انفعل فى شتمه لليهود مما فعلوه بالأنبياء من قتل وصلب

---

(١) سورة الفتح آية {٨ ، ١٠} .   (٢) إنجيل متى الإصحاح الثالث والعشرون ، صــ ٢٧

ثم إذ به يخبر أن بيتهم يترك لهم خراباً ويقصد به الهيكل الذى يتجهون إليه فى صلاتهم وكناية عن نهاية شريعتهم ومكانهم وإليك النص المترجم من إنجيل متى الإصحاح ثلاث وعشرين حيث يقول (ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، لأنكم تشبهون قبوراً مُبيَضّة تُظهر من خارج جميلة ، وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة ، هكذا أنتم أيضاً من خارج تظهرون للناس أبراراً ، ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثماً ، ويلٌ لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم تبنون قبور الأنبياء ، وتزينون مدافن الصديقين ، وتقولون : لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء ، فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناءُ قتلة الأنبياء ، فاملأوا أنتم مكيال آبائكم، أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم ، لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ، ومنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة ، لكى يأتى عليكم كل دمٍ زكىّ سُفِك على الأرض ، من دم هابيل الصدّيق إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح ، الحق أقول لكم : إن هذا كله يأتى على هذا الجيل .

يا أورشليم يا أورشليم يا قتلة الأنبياء ، وراجمة المرسلين اليها ، كم مرّةٍ أردتُ أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا، هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً لأنى أقول لكم : أنكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا : مبارك الآتى باسم الرب "[1] والكلام واضح ، وإخباره بأن بيتهم الهيكل الذى يلتفون حوله ويعبدون الله فيه يترك حتى يصير خراباً، وقد صَدق لم يهجر فقط

(١) إنجيل متى الإصحاح الثالث والعشرون صـــ ٣٩ .

بل ضاعت معلمه وهم يفتشون عنه أين مكانه إلى الآن ولم يجدوه ، وكناية على أن المسجد الحرام والكعبة المشرفة أصبحت القبلة وأصبح البيت معمورا من الناس ، من جميع الأجناس ، شريطة أن يكونوا مسلمين ، وأنهم لا يرون قدر المسيح ولا يعرفونه حتى يأتى(المبارك الآتى باسم الرب ") وهو سيدنا محمد ﷺ فيعلم اليهود والعالم أجمع قدر المسيح ومكانه عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، حيث إن القرآن الكريم قد خص سورة باسم جده آل عمران وهى سورة آل عمران ، وسورة مريم وهى أمه وهى صديقة طاهرة خاطبتها الملائكة ، وأبان القرآن فى سورة أبيها مدى طهرها ونقائها وأن الله طهرها واصطفاها ونص القرآن يعلو على أى نص (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين)[1] وكذلك ذكرها وذكر ابنها وذكر المائدة التى نزلت عليه، بسورة سميت سورة المائدة ، وتكلم عن تعذيب اليهود لأتباعه فى سورة البروج ، وغير ذلك، ولذا فإن محمدا رسول الله ﷺ هو الذى أوضح حقيقة المسيح لليهود والنصارى ، والعالم أجمع ، ولولا ذلك لظل العالم فى لبس وشك إلى أن تقوم الساعة ، ومع ذلك فإن القوم يجحدون ، **ولو كان سيدنا محمد مدعيا للنبوة لادعى أن هناك سورة نزلت باسم أمه آمنة ،وأخرى باسم والده عبدالله ، وأخرى باسم جده عبد المطلب ، فلماذا يذكر أم موسى وأم عيسى ويترك أمه إذا كان الأمر كذبا وادعاء ؟ من الذى حال بينه وبين ذكر سورة لأمه أوأبيه إذا كان الأمر ادعاء ، ومن الذى كان سيمنعه ؟!!!**

---

(١) سورة آل عمران آية {٤٢} .

ولقد ضرب المسيح مثلا على مكانة أمة محمد ، وأجرها عند الله ،وهى وإن كانت متأخرة وجوداً فهى الأمة المقدمة ، وذات الأجر الأفضل يوم القيامة **فيقول** : فإن ملكوت السماوات يشبه رجلاً ربَّ بيتٍ خرج مع الصبح ليـستأجر فَعَلَةً لكرمه — أى عمال الأرض عنبه " فاتفق مع الفَعَلَةَ على دينار فى الـيوم وأرسـلهم إلى كرمه ، ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قياماً فى الـسوق بَّطالـين ، **فقال لهم** : اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم، فمـضوا. وخـرج أيضاً نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل ذلك ثم نحو الساعة الحاديـة عشرة خرج ووجد آخرين قياماً بطّالين **فقال لهم** : لماذا وقفتم هاهنا كل الـنهار بطّالين ، قالوا له لأنه لم يستأجرنا أحد . **قال لهم** : اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكـرم فتأخذوا ما يحق لكم ، فلما كان المساء ، قال صاحب الكرم لوكيله : ادُع الفعلـة وأعطـيهم الأجرة مبتدئاً من الأخريين إلى الأولين فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة وأخذوا ديناراً ديناراً ، فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر ، فأخذوا هم أيضاً ديناراً ديناراً، وفيما هم يأخذون تذمَّروا على رب البيت قائلين ، هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحّـر ، فأجاب وقال : لواحد منهم: يا صاحب ما ظلمتك، أما اتفقت معى على ديـنار، فخذ الذى لك واذهب ، فإنى أريد أن أعطى هذا الأخير مثلك ، أوما يحلُّ لـى أن أفعـل مـا أريـد بمالى ، أم عينك شريرة لأنى أنا صالح ، هكذا يكون الآخـرون أولين والأولون آخرين "(١) . **ولقد صدق رسولنا عندما قال** : " نحن الأولـون الآخرون يوم القيامة " ، كما أن الإنجيل ذكر صفة أمة محمد ﷺ والتى

---

(١)إنجيل متى الإصحاح العشرون صـ ٣٢ .

ذكـــرها القرآن فى سورة الفتح يقول النص المترجم فى إنجيل مرقص الإصحاح الـــرابع " هكذا ملكوت الله : كأن إنساناً يُلقى البذار على الأرض وينام ويقوم ليلاً ونهاراً والبذار يطلع وينموا وهو لا يعلم كيف، لأن الأرض من ذاتها تأتى بثمر، أولا نباتاً ثم سنبلاً ثم قمحاً ملآن فى السنبل ، وأما متى أدرك الثمر فللوقت يرسل المـــنْجَل لأن الحصاد قد حضر وقال : بماذا نشبه ملكوت الله أو بأى مثلٍ نمثله : مـــثلُ حـــبَّة خردل متى زُرعت فى الأرض فهى أصغر جميع البذور التى على الأرض ، ولكـــن متـــى زرعـــت حتى تطلع وتصير أكبر جميع البقول وتصنع أغـــصاناً كبيرة حتى تستطيع طيور السماء أن تتآوى تحت ظلها "[1] ، وهو المثل الـــذى ذكره الله فى القرآن الكريم بأنه ذكره فى الإنجيل مثلاً لأمة محمد يقول الله فـــى سورة الفتح (ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يُعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين أمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً)[2] .

وقد ذكر متَّى هذا المثل أيضاً فى الإصحاح الثالث عشر[3] وظل المسيح يضرب الأمثال على أمة محمد وكيف أنهم وفُقوا فى الاختيار ، ثم يتحدث عن الفتن التى سوف يقع فيها أتباعه ، ثم موعد خراب أورشليم على أيدى المسلمين ، ونهايتها إلى يوم القيامة من أيدى اليهود وتكون بيد المسلمين وذلك فى إنجيل لوقا الإصحاح الحادى والعشرون " متى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها حينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال والذين فى

(١) إنجيل مرقص ، الإصحاح ٤ صـــ ٥٦ ، ٥٧ .   (٢) سورة الفتح آية {٢٩} .
متى صـــ ٢١ ، ٢٢ .

وسطها فليفروا خارجاً والذين فى الكُوَر فلا يدخلوا، لأن هذه أيام انتقام ليتم كلُّ ما هو مكتوب، وويلٌ للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام لأنه يكون ضيقٌ عظيم على الأرض وسخطٌ على هذا الشعب ويقعون بفم السيف ، ويسبون إلى جميع الأمم ، وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم "[1] وهكذا بكل الوضوح يذكر جيوش المسلمين فمن الذى طوقها غيرهم واستلمها عمر بن الخطاب منهم وانتهت قصتهم ومكانتهم فى الأرض على أيدى المسلمين ، وإن كنا اليوم فى زمن ضعف فإن غداً لناظره قريب وسوف يعود الأمر كما كان وأكثر ، والله غالب على أمره ولكن الناس لا يعلمون .

ولـــولا أنـــي أردت الإشـــارة والبشارة لأطلت العبارة ، وأكثرت من الاستعارة ، ولعلـــى فى القريب أخرج كتابا مفصلا عن إثبات وجوده فى تلك الكتب ، مكثرا من النصوص التى تركناها خشية الإطالة . . .

---

(١)إنجيل لوقا ، صـــ ١٢٣ .

٣٢ – مبعثه ﷺ إلى الناس كافة

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ، وكافَّةً للناسِ بشيراً ، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبى بعثه قبله بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر له على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدّقهم ، فأدّوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه ، يقول الله تعالى لمحمد ﷺ (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتابٍ وحكمةٍ ثم جاءكم رسولٌ مصدقٌ لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنَّهُ قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى) أى ثِقَل ما حملتكم من عهدى (قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) فأخذ الله ميثاق النبيين جميعاً بالتصديق له ، والنصر له ممن خالفه ، وأدّوا ذلك إلى مَنْ آمن بهم وصدقهم من أهل هذين الكتابين[١] وكان أول ما بدئ به ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فقد أخرج البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ، **تقول العرب :** التحنَّث والتحنُّف ، يريدون الحنفيَّة فيبدلون الفاء من التاء –والمقصود بذلك التعبد– الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال اقرأ ، **فقال :** ما أنا بقارئ ، **قال :** فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، ٢٣٤/١ .

، **فقال** : اقرأ ، **فقال** : ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى **فقال** : " اقرأ بسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم)[1] ، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد ، **فقال** : زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة - وأخبرها الخبر - لقد خشيت على نفسى ، **فقالت خديجة** : كلا والله لا يخزيك الله أبداً : إنك لتصل الرحم وتقرى الضيف ، وتحمل الكَلّ وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرأ قد تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمى ، **فقالت له خديجة** : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، **فقال له ورقة** : يا ابن أخى ماذا ترى فأخبره رسول الله ﷺ ما رأى ، **فقال ورقة** : هذا الناموس الذى كان ينزل على موسى يا ليتنى فيها جذعاً ، ليتنى أكون حياً ، إذ يخرجك قومك ، **فقال رسول الله ﷺ** : " أو مُخرجىّ هم ؟ " **فقال** : نعم لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، ثم لم يَنْشَب ورقة أن توفى وفتر الوحى "[1] . **وقد كان** رسول الله ﷺ فى بدأ أمره يرى الرؤيا كفلق الصبح ، وكان حين أراده الله بكرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أَبْعَدَ حتى تحَسَّر عنه البيوت - أى تبد عنه ويتخلى عنها - ويفضى إلى شعاب مكة وبطون أوديتها فلا يمرّ رسول الله ﷺ بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله قال : فيلتفت رسول الله ﷺ حوله وعن يمنيه وشماله

(١) سورة العلق .

وخلفه، فلا يرى إلا الشجر والحجارة ، فمكث رسول الله ﷺ كذلك يرى ويسمع ، ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله، وهو بحراء فى شهر رمضان .**وفى رواية ابن إسحاق** : كان رسول الله ﷺ يُجاور فى حِراء من كلّ سنةٍ شهراً ، وكان ذلك مما تحنّث به قريش فى الجاهلية ، فكان رسول الله ﷺ يُجاور ذلك الشهر من كل سنةٍ ، يُطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله ﷺ جواره من شهره ذلك ، كان أولُ ما يبدأ به ، إذا انصرف من جواره الكعبة ، قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعاً أو ما شاء من ذلك ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهرُ الذى أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التى بعثه الله تعالى فيها ، وذلك الشهر شهر رمضان خرج رسول الله ﷺ إلى حِراء ، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ، ورَحِمَ العباد بها ، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى ، قال رسول الله ﷺ : فجاءنى جبريلُ وأنا نائم ، بنمط من ديباج فيه كتاب – وعاء من الحرير فيه كتابة – **فقال** : اقرأ ، **قال** : ما اقرأ، **قال** : فغتنى به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلنى **فقال** : اقرأ ، **قال** : **قلت** : ما اقرأ ؟ **قال** : فغتنى به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلنى **فقال** : اقرأ ، **قال** : **قلتُ** : ماذا اقرأ ؟ **قال** : فغتنى به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلنى **فقال** : اقرأ ، **قال** : **قلتُ** : ماذا اقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى **فقال** : (اقرأ باسم ربِّكَ الذى خَلَقَ خَلَقَ الإنسانَ من عَلَقٍ * اقرأ وربُّكَ الأكرم الذى علَّمَ بالقلم علَّمَ الإنسانَ ما لم يَعلم) **قال** : فقرأتها ثم انتهى فانصرف عنى وهببتُ من

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام .

نومى، فكأنما كُتبت فى قلبى كتاباً ، **قال** : فخرجتُ حتى إذا كنتُ فى وسط من الجبل سمعتُ صوتاً من السماء **يقول** : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل قال: فرفعتُ رأسى إلى السماء أنظر ، فإذا جبريلُ فى صورة رجل صافَ قدميه فى أفق السماء **يقول** : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل ، قال فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخَّر ، وجعلت أصرِف وجهى عنه فى آفاق السماء ، **قال** : فلا أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فمازلتُ واقفاً ما أتقدم أمامى وما أرجع ورائى حتى بعثَتْ خديجةُ رُسلها فى طلبى فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها وأنا واقف فى مكانى ذلك ، ثم انصرف عنى ، وانصرفتُ راجعاً إلى أهلى حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مُضيفاً إليها فقالت : يا أبا القاسم ، أين كنت ؟ فوالله لقد بعثْتُ رُسلى فى طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلىّ ، ثم حدثتُها بالذى رأيتُ فقالت : أبشر يابن العم واثبُتْ ، فوالذى نفسُ خديجة بيدِهِ إنى لأرجو أن تكون بنى هذه الأمّة . **ثم قامت** فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العزى بن قصى وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتبَ وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ ، أنه رأى وسمع ، فقال ورقة بن نوفل : قُدوس قُدوس ، والذى نفسُ ورقة بيده ، لئن كنتِ صدّقتِنى يا خديجة لقد جاءه الناموسُ الأكبر الذى كان يأتى موسى ، وإنه لنبى هذه الأمة فقولى له : فليثبت ، فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة بن نوفل فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف ، صنع ما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقةُ بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال : يا بن أخى أخبرنى بما رأيتَ وسمعتَ فأخبره رسول الله ﷺ فقال له ورقة : والذى

نفسى بيده ، إنك لنبى هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى وَلَتُكَذَّبَنَّه ، ولَتُؤْذَنَّه ، ولتخرجنَّه ، ولتقاتلنَّه ولئن أنا أدركتُ ذلك اليومَ لأنصرنَّ الله نصراً يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه ، فقبّل يافوخه ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله.**قال ابن إسحاق** : وحدثنى إسماعيل بن أبى حكيم مولى آل الزبير : أنهُ حدّث عن خديجة رضى الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ : أى ابن عم أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ **قال:** نعم ، **قالت:** فإذا جاءك فأخبرنى به ، فجاءه جبريل –عليه السلام– كما كان يصنع، **فقال رسول الله ﷺ لخديجة** : يا خديجة، هذا جبريل قد جاءنى قالت: قم يابن عمّ فاجلس على فخذى اليسرى، قال فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها **قالت:** هل تراه ؟ **قال** : نعم ، **قالت** : فتحوّل فاجلس على فخذى اليمنى **قالت:** فتحول رسول الله ﷺ فجلس على فخذها اليمنى **فقالت** : هل تراه ؟ **قال:** نعم ، قالت : فتحوّل فاجلس فى حجرى ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قال فتحسّرت وألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس فى حجرها ثم قالت له: هل تراه؟ قال: لا، قالت يابن عم اثبُتْ وأبشِر، فوالله إنه لملكٌ وما هذا بشيطان.**قال ابن إسحاق** : وقد حدّثتُ عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال : قد سمعتُ أمى فاطمة بنت حُسين تحدّث بها الحديث عن خديجة إلا أنى سمعتُها تقول : أدخلتْ رسول الله ﷺ بينها وبين درعها ، فذهب عند ذلك جبريلُ ، فقالت لرسول الله ﷺ : إن هذا لَملَكٌ وما هو بشيطان(١).

---

(١) سيرة ابن هشام ٢٣٩/١.

وروى **موسى بن عقبة** عن الزهرى بن سعيد بن المسيب قال : وكان فيما بلغنا أول ما رأى - يعنى رسول الله ﷺ - أن الله تعالى أراه رؤيا فى النوم فشق ذلك علـيه فذكرها لامرأته خديجة فعصمها الله عن التكذيب وشرح صدرها للتصديق فقالت : أبشر فإن الله لم يصنع بك إلا خيراً ثم إنه خرج من عندها ثم رجع إليها فأخبرها أنه رأى بطنه شق ثم غُسل وطُهر ثم أعيد كما كان قالت : هذا والله خير فابشر ثم استعلن له جبريل وهو بأعلى مكة فأجلسه على مجلس كريم معجب كان النبــى ﷺ يقول : أجلسنى على بساط كهيئة الدرنوك فيه الياقوت واللؤلؤ فبشره برسالة الله عز وجل حتى اطمأن رسول الله ﷺ فقال له جبريل : اقرأ فقال كيف أقرأ ؟ فقال " اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علمَّ بالقلم علم الإنسان مالم يعلم " قال ابن المسيب : ويزعم ناس أن " يأيها المدثر" أول سورة نزلت عليه – والله أعلم-. قال: فقبل رسول الله ﷺ ربه واتبع مــا جــاءه به جبريل من عند الله فلما انصرف منقلباً إلى بيته جعل لا يمرُّ على شــجر ولا حجــرٍ إلا سلم عليه فرجع إلى أهله مسروراً موقناً أنه قد رأى أمراً عظيماً فلما دخل على خديجة قال : أرأيتكِ التى كنتُ حدثتك أنى رأيته فى المنام فإنــه جبريل ، استعلن إلىَّ أرسله إلىَّ ربى عز وجل وأخبرها بالذى جاءه من الله ومــا سمع منه فقالت : أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً واقبل الذى جاءك من أمر الله فإنه حق وأبشر فإنك رسول الله حقاً ، ثم انطلقت من مكانها فأتت غلاماً لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس نصرانيا من أهل نينوى -بلد يونس عليه السلام - يقــال له عدَّاس **فقالت له:** ياعدَّاس أذكرك بالله إلا ما أخبرتنى هل عندك علم من جبريل فقال : قدوس قدوس ما شأن جبريل يُذكر بهذه الأرض التى أهلها أهل

الأوثان ، **فقالت :** أخبرنى بعلمك فيه ، **قال :** فإنه أمين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام ، فرجعت خديجة من عنده فجائت ورقة بن نوفل فذكرت له ما كان من أمر النبىﷺ ، وما ألقاه إليه جبريل **وقال لها ورقة :** يـا بنـية أخى ما أدرى لعل صاحبك النبى الذى ينتظر أهل الكتاب الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ، وأقسم بالله لإن كان إياه ثم أظهر دعواه وأنا حـيٌ لأبلـين الله فى طاعة رسوله وحسن مؤازرته للصبرَ والنصر فمات ورقة رحمه الله . **قال الزهرى :** فكانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله ﷺ .
قال الحافظ البيهقى بعد إيراده الحديث : والذى ذكر فيه من شق بطنه يحتمل أن يكون حكاية منه لما صنع به فى صباه ، يعنى شق بطنه عند حليمة ، ويحتمل أن يكون شق مرة أخرى ثم ثالثة حين عُرج به إلى السماء والله أعلم . **وقد ذكر ابن عساكر** فى ترجمة ورقة بإسناده إلى سليمان بن طرخان التيمى **قال :** بلغنا أن الله تعالـى بعث محمداً رسولاً على رأس أربعين سنة من بناء الكعبة وكان أول شئ اختـصه بـه من النبوة والكرامة رؤيا كان يراها فقص ذلك على زوجته خديجة بـنت خويلد فقالت له : أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً فبينما هو ذات يوم فـى حراء وكان يفرّ إليه من قومه إذ نزل عليه جبريل فدنا منه فخافه ﷺ مخافة شـديدة فوضع جبريل يده على صدره ومن خلفه بين كتفيه ، **فقال :** اللهم احطط وزره وأشـرح صـدره وطهر قلبه ، يا محمد أبشر ! فإنك نبى هذه الأمة ، اقرأ فقـال له نبى الله وهو خائف يرعد – ما قرأت كتاباً قط ولا أحسنه وما أكتب وما اقـرأ فأخذه جبريل فغته غتاً شديداً ثم تركه فقال له اقرأ فأعاد عليه مثله فأجلسه علـى بـساط كهيـئة اللؤلؤ والياقوت ، **وقال له :** " اقرأ باسم ربك الذى خلق "

الآيـــات . ثـــم قال له ! لا تخف يا محمد إنك رسول الله ثم انصرف وأقبل على رســـول الله ﷺ **همه فقال** : كيف أصنع ، وكيف أقول لقومى ، ثم قام رسول الله ﷺ وهو خائف فأتاه جبريل من أمامه وهو فى صعرته فرأى رسول الله ﷺ أمراً عظـــيماً ملأ صدره **فقال له جبريل** : لا تخف يا محمد جبريل رسول الله جبريل رســـل الله إلـــى أنبيائه ورسله فأيقن بكرامة الله فإنك رسول الله فرجع رسول الله ﷺ لا يمـــر علـــى شجر ولا حجرٍ إلا هو ساجداً يقول السلام عليك يا رسول الله فاطمأنـــت نفسه وعرف كرامة الله إياه فلما انتهى إلى زوجته خديجة أبصرت ما بـــوجهه من تغير لونه فأفزعها ذلك ، فقامت إليه فلما دنت منه جعلت تمسح عن وجهه وتقول: لعلك لبعض ما كنت ترى وتسمع قبل اليوم فقال : يا خديجة أرأيت الـــذى كنت أرى فى المنام والصوت الذى كنت أسمع فى اليقظة وأهال منه فإنه جبريل قد أستعلن لى وكلمنى وأقرأني كلاماً فزعت منه ثم عاد إلىّ فأخبرنى أنى نبـــى هـــذه الأمـــة فأقبلت راجعاً فأقبلت علىّ شجر وحجارة فقلن السلام عليك يا رسول الله. **فقالت خديجة** : أبشر فوالله لقد كنتُ أعلم أن الله لن يفعل بك إلا خيراً وأشـــهد أنـــك نبـــى هذه الأمة الذى تنتظره اليهود قد أخبرنى به ناصحٌ غلامى ، وبحيرى الراهب وأمرنى أن أتزوجك من عشرين سنة ، فلم تزل برسول الله ﷺ حتـــى طعم وشرب وضحك ثم خرجت إلى الراهب وكان قريباً من مكة فلما دنت مـــنه وعرفها ، **قال** : مالك يا سيدة نساء قريش ؟ **فقالت** أقبلتُ إليك لتخبرنى عن جبـــريل ، **فقال** : سبحان الله ربنا القدوس ما بال جبريل يُذكر فى هذه البلاد التى يعـــبد أهلهـــا الأوثـــان جبريل أمين الله ورسوله إلى أنبيائه ورسله وهو صاحب موســـى وعيسى ، فعرفت كرامة الله لمحمد ثم أتت عبداً لعتبة بن ربيعة يقال له

عــداس فــسألته فأخبرها بمثل ما أخبرها به الراهب وأزيد **قال** : جبريل كان مع موســى حين أغرق الله فرعون وقومه ، وكان معه حين كلمه الله على الطور ، وهو صاحب عيسى بن مريم الذى أيده الله به ، ثم قامت من عنده فأتت ورقة بن نوفل فسألته عن جبريل فقال لها مثل ذلك ، ثم سألها ما الخبر فاحلّفته أن يكتم ما تقول له فحلف لها **فقالت له** : إن ابن عبد الله ذكر لى وهو صادق أحلِفُ بالله ما كَــذَبَ ولا كُذِّب أنه نزل عليه جبريل بحراء وأنه أخبره أنهَ نبى هذه الأمة وأقرأه آيــات أرسل بها . قال فذعر ورقة لذلك وقال لئن كان جبريل قد استقرت قدماه علــى الأرض لقــد نــزل على خير أهل الأرض ، وما نزل إلا على نبى وهو صــاحب الأنبياء والرسل يرسله الله إليهم وقد صدقتك عنه فارسلى إلىّ ابن عبد الله أســأله وأســمع من قوله وأحدثه فإنى أخاف أن يكون غير جبريل فإن بعض الشياطين يتشبه به ليضل به بعض بنى أدم ويفسدهم حتى يصير الرجل بعد العقل الرضى مدلهاً مجنوناً . **فقامت من عنده** وهى واثقة بالله أن لا يفعل بصاحبها إلا خيراً فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بما قال ورقه فأنزل الله تعالى عليه " ن والقلــم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون " الآيات ، فقال لها : كلا والله إنــه لجبريل فقالت له : أحب أن تأتيه فتخبره لعل الله أن يهديه فجاءه رسول الله ﷺ فقــال له ورقة : هذا الذى جاءك جاءك فى نور أو ظلمة فأخبره رسول الله ﷺ عــن صفة جبريل وما رآه من عظمته وما أوحاه إليه فقال : ورقة أشهد أن هــذا جبريل وأن هذا كلام الله فقد أمرك بشىء تبلغه قومك ، وإنه لأمر نبوة فإن أدرك زمانــك أتبعك ، ثم قال : أبشر ابن عبد المطلب بما بشرك الله به . قال : وذاع قول ورقة وتصديقه لرسول الله ﷺ فشق ذلك على الملأ من قومه ٠

محتويات الكتاب

وإلى اللقاء
فى العدد القادم بإذن الله

ولزيارة موقعنا على الإنترنت :www.elsban.jeeran.com
وللاتصال بنا عن طريق الفاكس : 0553769653
أو تليفون:0553769653 ــ0123970234

رقم الإيداع
٤٨٦٩/ ٢٠٠٦